

كتاب
الشيخ
الحقير
العبد

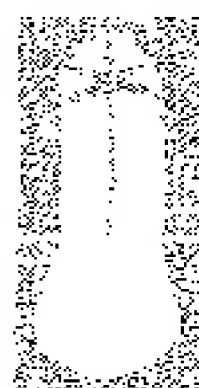
الاعتناء بالكتابة

للمعاصر



مكتبة

ع



دار سعاد الصباح

السرييات

الجزء الرابع

رقم الإيداع : ١٩٩٣/١٩٨٨
I.S.B.N. 977—5344—71—9

يناير ١٩٩٣
جميع الحقوق محفوظة ©

دار سعاد الصباح

ص.ب : ٢٧٢٨٠

الصفاء ١٣١٣٣ - الكويت

القاهرة - ص.ب : ١٣ المقطم

دق ٢٦٧

٣٤٩١٧٢٧

تليفون : ٣٤٩٧٧٧٩

٧٠٩٥٨٣

٧٠٩٥٦٣

فاكس : ٥٠٦١٠٣٠

الإشراف الفني : حلمى التونى

ديوان
الشاعر
العربي
المعاصر

الأعمال الكاملة

للشاعر

سليم القسبي

السرييات

الجزء الرابع



دار سعيد الصباح

في هذا المجلد (الرابع):

[١] إزم

إصدار نادي النهضة في أم الفحم

١٩٦٥ — مطبعة الاتحاد التعاونية — حيفا

[٢] اسكندرون، في رحلة الخارج ورحلة الداخل

١٩٧٠ — إصدار مطبعة وأوفست الحكيم — الناصرة

[٣] مراثي سميح القاسم

١٩٧٣ — إصدار منشورات دار الآداب — بيروت

[٤] إلهي، إلهي، لماذا قتلتني؟

١٩٧٤ — مطبعة الاتحاد التعاونية — حيفا

[٥] ثالث أكسيد الكربون

منشورات عَرَبِشْك — حيفا

١٩٧٦ — مطبعة عتقي — حيفا

[٦] الصحراء

إصدار دار الأسوار — عكا

١٩٨٤ — مطبعة «أبو دحمون» — عكا

* تصدر هذه الطبعة عن «دار سعاد الصباح» — القاهرة — يناير ١٩٩٣

إِرم

تبيين

في الأساطير أن شداد بن عاد عندما بسط سلطانه على الدنيا بأسرها حشد عباقره المخططين، فنفذوا أمره بتشيد مدينة ذهبية جدرانها مطلية بالمسك والعنبر، ويحيط بها سور فضي مموه بالذهب، بحيث أصبحت غير مرئية من شدة وهج الضوء المنعكس عنها.

ونهضت المدينة، مؤلفة من مئة ألف قصر.. أعمدتها زبرجد وياقوت، تجري بينها أنهار حصاها من الجواهر، وعلى حافاتها أشجار جذوعها من الذهب، وأوراقها وثمارها من اللآلي. وأطلقت بينها شتى الطيور.. تصدح وتغرد..

غرق أهل هذه المدينة «إرم» في نعمة لا توصف واستهوتهم شتى ضروب الملذات فغاصوا في الرذائل، ويوم أرسل لهم الله من يعظهم لعلمهم يروعون، تنكروا لله وكفروا به، وواصلوا ضلالهم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) وصاروا مثلاً وعبرة (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد). هذه هي «إرم» التي ورد ذكرها في الاساطير، وفي القرآن الكريم، والتي كتب عنها وألف حولها الكثيرون من الكتاب والشعراء... أما «إرم» التي أحلم بها وأكتب عنها فهي إرم جديدة.. إرم فاضلة.. تحلم بها الانسانية جمعاء.. وتناضل من أجلها.. مضحية في سبيلها الطويل الوعر بجسام التضحيات وغواليها.. مؤمنة بأنها البديل الوحيد وواثقة بأنها البديل الأكيد لعبودية البشرية، وفنائها الشامل.

المراحل

- (١) نشيد الافتتاح إرم الفاضلة
- (٢) نشيد الدهور البحث عن الجنة
- (٣) نشيد الكهنة الخطيئة والوثن
- (٤) نشيد الانبياء أبطال الراية
- (٥) نشيد الحرب هيروشيما
- (٦) نشيد الانسان الجديد بطاقات الى ميادين المعركة
- (٧) نشيد الختام الطريق

نشيد الافتتاح

البشرية : إرماء.. تريد القافلة؟!

الشاعر : إرماء.. على أرض جديدة

إرماء.. سعيدة

إرماء.. ولكن فاضلة!

البشرية : ماذا لديك؟!

الشاعر : لدي عن إرم قصيده!

البشرية : فلتسكتوا...

فلسكتوا...

وليلق شاعرنا نشيده!!

نشيد الكهـور

- عبثاً تحاول أن تنام!

قدر عليك السهد والفرع المدمر والظلام
فأهجر فراشك.. ألف صلٍّ في فراشك مستثار
ووسادك المحموم أشواك ونار!

سرب من الغربان في أعماقك الشوهاء حام
والليل حولك والعواصف والثلوج فلن تنام
عبثاً تحاول أن تنام

قدر عليك البؤس والألم المبرح والسقام
مأساتك السوداء كانت منذ قال الله: فليكن الوجود
وكان.. ثم بدا له أن يصنع الشمس اللعينة والحياة
فدارت الأجرام في الفلك المقيت ودبت الأحياء
في الآفاق سائبة يعيش ببعضها بعض.. وكنت

لتلتقي في روحك الموبوء آلام الخليقة والشقاء المر
من ندم يغفل في كيانك كلما أوغلت
في تقليد ما سواك، بالعقل المعذب والهيام
بشهوة صفراء رائعة البداية مرة التاريخ
فاجعة الختام!
عبثاً تحاول أن تنام!!..
فأحمل عظامك وأمض في الدرب الطويل
تحفُّك الأخطار، جدُّ رحلة الأحران
في أرض الضياع القاحل المشؤوم،
في بحر الأسى الطامي الذي لا يرحم السفن البريئة
تقطع الأبعاد.. بالقرصان والملاح
والأطفال والشيخ العجوز وغادة عذراء
حالمة بفارسها الجميل.. وزوجة فضلى
وزانية وقديس وإنسان يغامر
في سبيل الحق، يحدجه اللصوص
ويهمسون.. ويرسمون
خططاً يطل وراءها وجه يقهقه ساخراً:
عبث حياتكمو!.. جنون!!..

سل جدك المحدودب الأعمى
وسل أبويك، هدهما العذاب وقوُست ظهريهما
عجلات شيء وأسمه الدهر
الذي لا ينتهي!

سل كل وجه أغبر القسمات يقذفه المدى
في وجهك المكذور.. لا لوثات مجدوب
تغطيه بأكداس الهناء السمج
والفرح المزيف والصفاء الأبله!

سل كل انسان تحدر في كيانك ما تحدر
في كيانه من دم يغلي بنار الله، بالصحو
المصفى من سلو ضل عن وجه الحقيقة،
هل تغلب واستكان ضميره في الوحل
في الدوامة الحمقاء فاستعلى وأفلح
أن ينام؟!

عبثاً تحاول أن تنام!
فأحمل مصيرك وأمض في الليل المولول
عبر ندف الثلج عبر الرعب والريح المخيفة
والوحوش ونكبة الكون المتعتع في الظلام!

عبثاً تحاول أن تنام!

عبثاً تحاول أن تنام!!..

- منذا هنالك؟.. أي طيف في الطريق

الموحش الموحول منذا أنت يا شبحا

يقوم ويرتمي في كدرة الاسداف.. لا الأمطار

ترحمه ولا الأشواك والصخر المسنن والرياح؟

من أنت؟؟

- صنوك! ضارب في الأرض

ودّع أهله قبل الصباح!

ومضى وفي أعماقه الكدراء ينزف

مثل ما في قلبك الدامي وروحك من جراح!

- من أنت؟؟

إنسان تغرب في طريق الرحلة الصفراء

يزحف نحو أقصى الدرب، نحو البقعة

السوداء في الأفق المشوّه.. في المجال

المعتم المرهوب، غلقه السحاب!

- منذا هنالك؟؟

- لعنة أخرى تلوب على المدى المجهول

مطفأة العيون، تدب في قلق مميت،
خائق الجدران، تسرح في جوانبه الجديبة
سائمات الظلمة النكراء، تنهشه الأفاعي والذئاب!
وتند عنه، جريحة الاصداء، عائرة التمرد،
صرخة رعناء دامية،
تمزقها الأعاصير الغبية ثم يلقفها ويلعها
المدى المظمور في الدم، في المزابل
في الخرائب، في الضباب!!
رباه! أين الدرب؟!.. ثم يقهقه
اللا درب، يسخر من فظاظة طينة بلهاء
ينخرها وباء السل والسرطان
ثم تلفها الأوحال في صمت وهيمنة ملوثة،
وهزء ساحق الأثقال
جنده العذاب!
ويودُّ لو يتوسد الطين المعفن كي ينام
فيضج في أسماعه المكدودة المضناة
صوت راعد: لا! لن تنام!!

نشيد الكهنة

- دوري مع الاعصار! يا قطعان! ضيِّعك الرعاة!
وابكي ربيعاً مات.. مات!
وتهيأي للمسلخ المشؤوم تهدر فيه أمواج الدماء..
من القرون الخاليات!
من يوم أنشب آدم المغدور في حواء ناباً
يغتذي من لحمه المغبون ينهل من دماه!
ويظل يؤمن أن في صلب الخطيئة هادر
ينبوع أسرار الحياة!
ويهز صوت الله أركان الوجود:
- اليوم تفقد جنتي! فأخرج يرافك الشقاء
مدى رحيلك في يباب الأرض..
خلفك موصل عدني، وأمسك لن يعود!!

- دوري مع الأعصار! يا قطعان! ضيِّعك الرعاة!

وابكي ربيعاً مات.. مات!

من يوم شاء الله أن تهوي يدا قايين،

قاتلتين، غائصتين في الدم، في الحياه

ويروح يصرخ من وراء السدل..

في عسف الطغاة.. الأغبياء من الطغاه:

- قايين! يا قايين! أين مضت بهابيل خطاه؟!

إذهب! يرافك الشقاء.. جزاء فعلتك الحرام!

قدر عليك السهد والألم المبرح والسقام

وتند عن أرض الخلود

صرخات بُقيا اللحم والدم والعظام!

الشلو أقسم لن ينام!

الشلو أقسم.. لن ينام!!..

- الرب (راع)!

ما زال يرمقه الملايين الرعاع

يتعبدون ويرفعون له الذبائح والقرايين البريئة،

يسجدون الليل.. حتى منتهاه

- ماذا وراء الصمت تكتم يا إله؟!
ويضج اعصار الحقيقة بين اغلال
تصفده بها الأوهام، غادرة الجموح، غبيّة التيار
نادمة المصير!

- لا سر في صمت الاله!!
لا شيء غير الجوع والحرمان والطوفان،
يجتاح القرى السوداء.. يكتسح العبيد
الضاربين بلا وجوه، يحملون جبال صوآن
على الأكتاف، داكنة النجيع
يحرّ فيها النير مذ كانت وتنهشها الضباع!
والرب (راع)

ما زال يعبده الملايين الرعاع!..
والمؤمنون الآبقون، وجوههم للآت ترنو
في خنوع أبله، قطعانهم في الرمل تزحف
.. هاربين من الضياع الى الضياع!!

- الليل في النزاع الأخير!
ونسأؤكم يبكين في صمت مرير

يُكِين فِي جُوعٍ وَحَرَمَانٍ، يَسُوحُ الطِّينَ
مِنْ زَفَرَاتِهِنَّ الْبِكَمِ، يَحْتَرِقُ الْحَصِيرَ
طَالَتْ سَنُونَ الْجَدْبِ.. وَالْأَهْرَامُ تَلْتَهُمُ الرِّجَالُ!
خُوفُو يَمُوتُ.. فَشِيدُوا قَبْرًا يَعِيشُ بِهِ الزَّوَالُ!
وَتَهَيَّأُوا لِلْجُوعِ، لِلْأُوبَاءِ، لِلْقَمَلِ السَّعِيدِ،
وَلِلْسَيَاطِ، تَنْزِ خَانِقَةَ بَأْيَدِي الثَّائِرِينَ عَلَى الْفَنَاءِ!
لَا كَانَتْ الْأَطْفَالُ! حَتَّى يَنْجِبَ ابْنُ الشَّمْسِ
طِفْلًا لَا يَمُوتُ!
هَبُّوا فَإِنَّ اللَّيْلَ فِي النَّزْعِ الْآخِرِ!!

- يَا نَمْلُ بَابِلَ إِنَّ فِي مَوْلَاكُمْ شَوْقًا
لِاسْرَارِ السَّمَاءِ!
فَتَكْدُسُوا قَبْلَ الصَّبَاحِ
سَتَشِيدُونَ سَبِيلَ مَوْلَاكُمْ لِأَبْوَابِ السَّمَاءِ
بِيعُوا حُلَى زَوْجَاتِكُمْ
جَزُّوا غَدَائِرَهُنَّ نَجْدَلَهَا حَبَالًا أَوْ سَيَاطًا
أَوْ مَشَانِقَ لِلْعَصَاةِ الْأَشْقِيَاءِ
وَاسْتَسْلِمُوا لِلرِّيحِ إِنْ هَدَّتْ عَرَائِشَكُمْ،

وقصّفت الكروم الخضراء..

إن الله يرزقكم غداً من عنده الخير الكثير!

وإذا استباح الداء آفاً من الأطفال

فاستلقوا على أعتاب برجم العتيد،

وعزّموا، تحمل نساءكم وتوائم..

إن ربكمو على كلّ قدير!!

نشيد الانبياء

- دعهم، فان ضلالهم قدر يرافقهم الى اليوم الأخير!
جالد إذا أفلحت، منتزعاً خطاك من الوحول الداميات
وعد الى فردوسك المهجور، للجنات تجري تحتها
الأنهار، للقصر الكبير

ليل (غوتاما)! وللإعصار (غوتاما)!
يؤول غداً بمشعلك المصير
ستظل في أوهامك البيضاء (نيرفانا)..
تظل رؤى مقدسة، إلهاً من أثير
والله! نحن نشاؤه بغرورنا،
شيئاً له قسماتنا الشوهاء ترسمه أنانياتنا..
فأهبط من الأبراج، من شم القباب

وإذا استشير لهيبك القديس من صوت الضمير
وشقيت في ما يحمل الانسان من عبء العذاب
فالمس جراح الأرض في رفق..
ودثر عريها الدامي بأسمال التراب!!

- حطّم وصاياك الشقيه!
وأسجد مع الكفار للعجل الغبي، فللسدى
تعطو أمانيك الغبيه
ألواحك الآجر تغري النمل والديدان
والابريز في العجل المدلل يخطف الأبصار
يقذف بالعقول الدكن في دوامة غضبي دجيّه!
آنست ناراّ ضوأت سيناء! ثم سمعت!
قل.. ماذا سمعت؟ سمعت صوت الله
يا موسى.. فبشر في البريه!
طوّف قروناً تحت جناح الليل.. في شفتيك
يهدر صوت يهوه

والمشعل القديس في كفيك ترفعه،
تذود الدكنة الشوهاء عن كون مشوّه

وغداة يسبك كل شعب ما لديه من الحراب
الى محارث وترعى الشاة ما بين الذئاب
ماذا يكون؟؟ ستفتك الشاة الوديعة بالذئاب
وسيعث الانسان ملحمة الصراع،
وآن تشتّم المحارث الدماء ستستحيل الى حراب!
ويزيح قايين القديم جميع أكداس التراب
يزيح قايين القديم جميع أكداس التراب!
فأرحم وصاياك الشقيّه!
حطّم وصاياك الشقيّه!!

- شرفُ الأقانيم الثلاثة والصليب
شرفُ الدماء الزاكيات النازفات من الجراح،
جراح هيكلك الخضيب
شرفُ الأحبوا بعضكم بعضاً..
وهذا خبزكم جسدي وخمركمو دمي الجاري
وفي الناس المسره
والأرض يغمرها السلام.. فلا قتاد غاصبُ
يودي بزهره

شرف المحبة والخلاص من الخطيئة
شرف التعاليم البريئة
لم يلهم الانسان معنى الخير..
لم يشن الغزاة الطامعين البله عن وهم الفتوح!
ورسولك القديس بطرس، عاد للعهد القديم..
فليس من تلميذك المعهود،
ليس سوى مسوح
فأرحم جراحك يا مسيح!
ما عُدت في الانسان غير حكاية تحكى
عن الرب الجريح!!

أحراء! هل هجرت حمامتك الوديعة؟
هل جفتك العنكبوت؟
أحراء! هل دهمت قريشُ أمان لائذك الكريم؟
فراح تحت سنايك الكفار
مغدوراً يموت؟!
عادت (منى) وأبو لهب
عادا.. فما تبت وتب!

والكعبة استخذت منابرها للغو خوارج،
لا الله يكبح من جماح ضلالهم، لا الانبياء
ولا الكُتُب!

واستشهد الأنصار.. وانهارت مدينتهم،
وشُرعت المساجد للصوص المارقين!
و«الله أكبر»! لكنة جوفاء،

تطلقها نفايات المسوخ التافهين!
فاركب بعيرك يا محمد!
وتعال.. لي في الشمس معبد!!

- ما جئت بالتنزيل، لم يفجأك جبرائيل
في رهط الملائك بالنبوه!
لم تلق وجه الله! لم تسمع من النيران دعوه!
لم تحي أمواتاً ولم تُنهض كسبحاً!
لم تُزل برصاً ولم تخلق نبذاً من مياه
لم تجيء بالمعجزات الخارقات
لكن وجهك يا رسول العصر أشرق في ظلام العصر..
أحلاماً، وإيماناً وقوه!

وهدير صوتك هز أعماق الخليقة
فاستفاقت جذوة سُجنت بأعماق الحياة
فإذا الظلام يسبح في ذعر، ونور الفجر
يولد في العيون المطفآت
وإذا أنا الانسان! أجهر بالصلاة!
وإذا صغاري يشبعون، ويدرسون ويلعبون!
ومشيئة الرحمن والأقدار
بعض من نفايات القرون!
والأرض بعد العقم أثمار وأزهار وخضرة
فأسمع أغاني الثائرين
وأشهد نهايات السجون
واهناً فأناً بأسمك الجبار نجتاز المجرة!
واهناً فإن الشمس تشرق كل يوم ألف مرة!!

نشيد الحرب

تَبَيَّضُ أجنحة الغراب!
وتلف أذناً، من الخزي، الكلاب!
وتلوب في فزع وفي خجل، على أرض الرماد المر
أسرابُ الذباب
وتجف من رعب السؤال.. تجف حنجرة الجواب:
- من أي أعماق البشر
يتفجّر الموت الزؤام على البشر؟!
ولأي كهف ينزوي الله المعفّر بالغبار
وبالدخان وبالشرر؟
وبأي معراج يلوذ الأنبياء الصالحون
غداة تريدُ الصور؟

بالحظ؟ بالمقسوم؟ بالمكتوب في لوح القدر؟!
طفل بلا رجل، بلا عين، ومخلوق بلا وجه،
وأشباح من الأنس المشوه تستغيث
وتقهقه الاوباء والقحط الخبيث:
- كل الاناث هنا عواقر
كل الرجال هنا معقمة.. فألقوا العبء
عن أكتاف محراث مسافر!
هذا الرماد المر لم ينبت سوى الورد المحجر
والدم المسود والريح المميتة والخناجر!
وتصك سمع الشمس هممة المصانع
تحت وجه الارض حبلى بالذخائر
قلبي على العمال! خوف الجوع.. أيديهم تصوغ الخوف
.. من أجل الصغار.. أكفهم تختط موتاً للصغار!
قلبي على الانسان! في قلق الدمار
يسوق أحلام الخليقة للدمار!

وترف أجنحة الأعاصير الملوثة الحقوده
وتشرع الأظفار والأنياب في وجه البراعم،

غضة الأشواق، في أحضان مشتلتنا الجديد..
وتشتهي النيران خضرتنا الجديده!
وتصدّع الآفاق جلجلة الملايين المدوية المريدہ:
- أیظل؟!
- لا.. لا.. لن یظل إلهنا!
- ونظل؟!
- لا.. یا طفلنا الموعود!.. لن نبقي عبیده!!
فوراء سور العصر خلّفنا شعائره البليده!
ووراء سور العصر خلّفنا كهوف الموت
موحشة معذبة.. وفتنا الليل والأسلاك
والأنقاض والقتلى ونصب المجد
في الارض البعيده!
واجتاز موكبنا مخاضات الدم الكبرى
الى شطآن... جنتنا السعيده!!

نشيد الإنسان الجديد

الى بول روبسن

من أقصى أطراف الدنيا

ينهلُ غناؤك في بيتي

ويرفرف في قلبي

عصفوراً.. أسمر.. منفياً

من أقصى أطراف الدنيا

ينهلُ غناؤك في بيتي

يا أقسى لافتة في الدربِ

يا فاضح جور الانسان على الانسان

من أقصى أطراف الدنيا

«بالله خذوا أُمِّي للبيت»^(١)

«كي لا تشهد موتي!»

وتهوم في عينيا

أشباح الكوكلو كس كلان

يلهون بصلبك في الميدان

يلهون بصلبي في الميدان

وأفبق على ضربة طبلٍ

ويعود الى قلبي الايمان!!

الى فيدل كاسترو

قُدُمًا.. قُدُمًا.. في هذا الدرب!

يا حاطم أغلال الشعب

قُدُمًا.. يا أجمل شعله

في عتمة أمريكا المحتلة

قُدُمًا.. ما دامت في البيت

أشتات الأوباش الفاشست

قُدُمًا.. ألفجر وقضبان السكر

أسلحة ليست تقهر
يا غوث الجزر المنهوبه
وعزاء الأم المنكوبه
راياتُ القرصان
ستفوص الى القيعان.. الى القيعان
شوها.. مخضبة.. مغلوبه
باسم الحرية والانسان!
قُدماً.. قُدماً.. يا شعباً في كوبا
ما عاد مسيحاً مصلوباً!!

الى جان بول سارتر

أطلقها.. ناراً.. في وجه الأعداء
أطلقها.. كلِّمتك الحمراء
ما دام على الدنيا باستيل
ما دامت قضبان.. وسياط.. ودماء
يا أنبل قنديل

في عتمة باريس العمياء
أطلقها.. من أعماق أعماق الانسان
كَلِمَتِكَ المغروسة في وهران
في هافانا.. في هارلم.. في كل مكان
كلمتك المورقة الخضراء
أطلقها!

ما زال على الدنيا باستيل!
ما زالت قضبان وسياط ودماء!
أطلقها! أطلقها!!

من قوس النصر المحمول
فوق رقاب الأحرار الشهداء!!

الى نجيب محفوظ

عاشوا.. لم تصحبهم كلمة
ماتوا.. لم تصحبهم كلمة
ألفصحي والأوراق المصقولة والانشاء

والحبر الغالي والأقلام الفضية

كانت مسبية

يلهو بمفاتها النبلاء..

والناس البسطاء

عاشوا.. لم تصحبهم كلمه

ماتوا.. لم تصحبهم كلمه

فاغرف من أعماق البئر العذراء

واسقى العامل والفران وأطفال الحاره

الناس ظمء

أكتب عن شحذ الهمه

وأكتب عن أحلام الأمه

طوبى للحرف الشامخ في الليل مناره

والعار لأبراج العاج المنهاره

وسبايا النبلاء!!

الى كريستوف غبانيا

ما زال طويل الأظفار

ما زالت تقذف عيناه حمم النار

ما زالت تحميه دجيه

في قلب الادغال الأفريقيه

ما زال يزلزلنا.. حقدًا.. لا رعبا

الوحش القاتل لومومبا

ودماء الكونغو ما زالت.. في كل طريق

وصلاة الكونغو ما زالت.. والليل عميق

فارفع شعلتك المشبويه

وأضيء للأم المحبويه

أدرب طويل دون ضياء

والدرب قصير ما دامت

في الموكب رايتك الحمراء

فارفعها ولتخفق أبدا

في الدرب على جثث الشهداء!

الدرب قصير!

الدرب.. قصير!!

الى ثوار «فييتكونغ»

أَسْمَعُهَا.. تهدر.. ملء دمي

أَسْمَعُهَا! في الوديان، على الغابات، على القمم

أسمعُ صرخات الأحرار، وقهقهة الرشاش

أسمع غارات الفاشست الأوياش

وأصيح.. أصيح.. بلا صوت:

«الموت لآلهة الموت»!!

واحس بكفي تتقلص

وأغيب لبرهه

وأحس كأني أترى

بذئاب الغزو على أرض الجبهه

وأصب على الأشباح النار.. وأبكي!!

«من يجرع في بارات نيويورك الوسكي؟»

«من يلقي في المقهى حلوه؟»

«من ينشد في الشارع غنوه؟»
«من يحرق في أمريكا؟ من يزرع؟»
«من يحرق في فيتنام ويزرع؟»
«من يبقى في المصنع؟»

من يبقى؟؟

يا آلهة الموت الحمقى في أمريكا..

يا آلهة الموت الحمقى!!

وتجلجل ملء دمي

في الوديان.. على الغابات.. على القمم..

غارات الفاشست الأشرار

وأصبح.. أصبح.. بملء فمي:

«الموت لآلهة الموت!»

وصباح النصر يشع على أعينكم

يا ثوار «فيتكونغ» الأحرار!!

الى أوري ديفز

في كفي دفء من كفك!
في قلبي صوتك: «اني في صفك!»
في ذهني وجهك.. ذات لقاء
وهتافك: «اني معكم يا أخوتي الشرفاء!»
«معكم.. معكم.. في وجه الاعداء!»
في ذهني قامتك المنتصبة
وملامحك المكتنبة
وشعار النعمة
والخيمة
والشرطي القاسي.. والسجن الأقسى
لا!.. لن أنسى!
ولقاؤك لي خلف الأسلاك
والبسملة.. تسكبها في قلبي شفتاك
وهتافك: «لا تحزن! لا تحزن! يا صاحب!»
و«أحلف أن تحكي للناس هناك»
«أني سأواظب»

«سأواظب!»

لا.. لن أنسى!

يا جرح الأعداء الأقسى

يا جرح الأعداء

وصديق الشرفاء

قسماً بالجرح الواحد

في ماضي شعبينا الخالد

قسماً بالشمس

معاً.. سنفك من الأسر الدامي.. الشمس!!

الى الأسطى سيد

يا أسطى سيد!

إبن.. وشيد

شيد لي السد العالي

شيد لك

أطفئ ظمأ الغيط الغالي

وامنحنا.. وامنح أهلك

كوباً من ماء
وخضاراً.. وزهوراً.. وضياء
يا أسطى سيد
أزف الموعد
والقرية في الصحراء العطشى تحلم
والبذرة في الثلم الصابر تحلم
فأدفن أشلاء القمقم
في أشلاء الصخر المتحطم
وابن.. وشيد
يا أسطى سيد
بأسم ضحايا الأهرام وبأسم الأطفال
ابن السد العالي!
يا صانع حلم الأجيال!!

الى محمد مهدي الجواهري

عفواً! يا عملاق الكلمة
إن شابت ألفاظي عجمه

عفواً فجراحي قاتلةً
والظلمة، تخنقني، الظلمه
عفواً! ان أقلق منفيًا
منفي شاطرَه همه
لهفان.. يمد اليك يدا
حمراء تلوح في العتمه
ويصيح: «صباح العزة يا نسرًا سيعود الى القمه!»
يا حتف زبانية لَصُوا
من أيدي الفقراء اللقمه
وانهاروا عهنًا منقوشًا
في وحل الأحقاب الجهمه
في صوتك روعةً تاريخٍ
وبيسارقٍ نصرٍ مُلتمه
فاقذفه على البغي شواظًا
وأسكُبه ضياءً للأمم
أنا (جعفر) في أرض أخرى
يمتص فم الطاغى دمّه

فَاعْذُرْ إِنْ دَوَّتْ كَلِمَاتِي

جِشَاءً، مَمْزُوقَةً الرَّحْمَةِ

أَغْرِيْبَ وَجْهًا وَلِسَانًا

وَيْدًا... لَا يَهْدُرُ بِالنَّقْمَةِ؟!

نشيد الختام

أبدأ على هذا الطريق !!
راياتنا بصر الضرير.. وصوتنا أمل الغريق
أبدأ.. جحيم عدونا.. أبدأ.. نعيم للصديق !
بضلع موتانا نثير الخصب في الارض اليباب
بدمائنا نسقي جنينا.. في التراب
ونرد حقلاً.. شاخ فيه الجذع.. في شرخ الشباب
ونصب في نبض المصانع..
للمربى.. والحقائب.. والثياب
نبض القلوب المؤمنات..
نبض القلوب المؤمنات.. بكل أقداس الحياة!!

أبدأ.. على هذا الطريق !

نذوي فدى أشواق سنبله على وعد العطاء !

ونصيح من فرح غزير الدمع.. في عرس الفداء:

أبدأ.. على هذا الطريق !

شرفُ السواقي.. أنها تفنى فدى النهر العميق !!

والنهر يجري دافقاً.. يجري ويكتسح السدود

وأنظر الى الأفق البعيد.. أنظر الى الأفق البعيد

فهناك.. كانت ثورة كبرى.. وكانت بور سعيد

وهناك شيخ ميّت.. وهناك ميلاد جديد

وهناك.. ناس أصدقاء

صنعوا الحياة.. ونسّقوا خضر الجنائن في الجليل

وهناك.. منجم أنبياء

جلدوا القياصرة الطغاة الأغبياء

وترمدوا.. لتعيش فوق رمادهم شعل الضياء !

وأنظر الى الأفق البعيد.. أنظر الى الأفق البعيد

فهناك.. في أعماق أفريقيا الجواري والعبيد

فجر.. يمر بكفّه فوق الجباه الشاحبات

ويصب فيها النور والدم.. والحياة!
وهناك.. في أعماق أمريكا الجريمة والتمزق والضياع
طبل.. يدق بلا انقطاع
لمدينة تُشرى.. وزنجي يُباع!
وهناك.. في الأفق القريب.. هناك في الأفق البعيد
ليست تُتم الأرض دورتها بلا نصر جديد
فأحمل لواءك.. وأمض.. في هذا الطريق..
أبدأ.. على.. هذا.. الطريق!!
شرف السواقي.. أنها تفنى.. فدى النهر العميق!!

اسڪندرون

فاجي رحلة الخارج ورحلة الداخل

يرحل بزوجهته.. باحثاً عنها



متلثماً بالريح،
ملتفأً بخارطتي الرحيبه!
القي التحية،
كاظماً جرحي وحقد الغنفرينه
وأقول في ثقة لكل الأصدقاء
وأقول في ثقة لوالدتي الحزينه
خلّوا المحارم والبكاء
لطقوس عودتي القريبه
متلثماً بالريح،
ملتفأً بخارطتي الرحيبه!



صمتي.. وبیداء تمید. ترق. تحملني. تموج

صمتي. وصاعقة تزلزلي

الى دهر العباءات الفصيحة والقباب

- أين البيارق والسروج؟

جهزتُ عمارتنا،

وبحر الروم يُضمّر شرّه

وتهرُّ آلاف الكلاب.

.....

صمتي وبیداء تموج

في حفلة الكوكتيل. والقبطان يغمزها فتأتي

- هل تأذنين برقصة؟

هل تشربين؟

من أين أنت؟

ويصيح تركي بدين:

- كل الذين عرفتهم ماتوا،

وآخر أصدقائي

ضبطوه مختلساً نقود البنك،

كان مقامراً وغداً يموت على النساء!

ومهاجر ضاقت به البلجيك

كالاسفنج يشرب، وهو يجار بالغناء:

«نأ، أنا، يا بنت، نأ!»

والجواز يصخب. أخ. يسقط. أخ. يحملني. يهيج

صمتي وبيداء تموج

ويلج بحار عجوز

- من أين أنت؟ وما لديك؟

- أنا من بلاد الله. أبحث عنه في بلد غريب

- وإذا عثرت عليه؟

- أسرد قصتي.

- أصغي اليك!

- رافقتها طفلاً، لمدرسة السنوم الطائفية
قبلتها سراً،

ونمنا خلف سور العائلية
عادية كانت،

و كنت زميلها في الكارثة
يوم اكتشفت سقوطها في ملجأ الأيتام. فجأة!
فعقدت - قبل الأربعين - قراننا
ويدون حب جارف..

في ملجأ الأيتام فجأة.
يوم اكتشفت سقوطها البحري،
والبري،

والجوي.. فجأة.
وسقطت مطعوناً،

ونجم سينمائي يداعب لحمها
ويبيع دفءه

في حفل إل. أس. دي وصودا كاويه
والمخرجون يقهقهون،
ويبسم الكومبارس في بله

فتسقط دمعتي جمرأً على شفتي

وذقني كعب نعلٍ في التراب

.....

من قال، وجه مستعار يشتري شرفي

بمالٍ مستعار

من قال، يسقط الف باب

وتظل مائدة القمار

من قال، في لحمي تمد جذورها السوداء

مائدة القمار

من قال، توضع زوجتي رهناً،

وتأخذني الصحارى والبحار؟

- وغداة أدركك الصباح،

ماذا فعلت بما غنمت من المذلة والجراح؟

- زكيت أحزاني بأغنيةٍ وزهرة برتقال

ووقفتُ في ربح الشمال

عذباً كحد السيف، في ربح الشمال!

- ماذا تقول الأغنية؟

- بعنا ثمار الصيف يا حبي،

بأوراق الخريف

بعنا ربيعك.. بالخريف

بعنا شتاءك.. بالخريف

بعنا خريفك.. بالخريف

بعنا الوصية بالزكية

بعنا أغاني الحاصدين، بأم كلثوم العجيبه

بعنا صغارك بالسعال

والفقر والزهرى. في أحضان عاهرة غريبه

فلنبك يا حبي دماً

ولنبك. آه. كالنساء

ملكاً مضاعاً،

لم نصن حرماته مثل الرجال!

- وسقطت؟

- انهض في المحال!



قدمي تدق بلاط أوروبا
ووجهي في رمالك يا جزيرة
ويداي في أشجارك العادت تنور يا جزائر
وفمي بلال في مآذنك العتيقة يا يمن
ودمي يسح على جدارك يا كنانه
ليطل سنبله تهجي درسها
لشheid حقل في عدن
ويشق صلصال العراق،
يشقه عن اقحوانه..
قدمي تدق بلاط أوروبا
وزادي.. ما تبقى
مني، أوزعه وأشقي!



أبواب اسطنبول تجهلني،
المواخير الكثيبة. والمآذن
وتشيع عن وجهي الوجوه الفارقة
في الشاي والحزن المداهن
وتميل عن دربي الصبايا
والمقاهي والمداخن
ويخونني حمال أمتعتي
ويشتم سائق التاكسي أبي
لم يعجب البقشيش حضرته،
فمال عليّ بياع حزين:
- اليوم شرف بيتنا الأسطول،
شرفنا الجنود الشقر

فالأسعار شيء آخر،
ما سعر زوجتك الفقيدة؟
ها. ها. هها. ما سعرها،
أرغيف خبز.. أم قصيده؟
وأجوس أرصفة الشوارع
باحثاً عن وجه صاحب
أرتاح في ظل المساجد،
بين أقدام الأجانب
وأنام، من تعبى أنام،
على التمزق والحقائب..
.....

- هذا الفتى البدوي،
يسأل عن صديق باسم ناظم
عيناه من بوسفورنا
ويداه جذعا سروتين!
ويقول إن صديقه يأتي المدينة كل عام
متفقداً شوق الفصول الى المواسم
- لا علم لي، وعصي شرطتنا تلوح في الظلام!

لا علم لي، يا أيها البدوي،

بالدم والعقيدة

ما زال جلد الكيش بدلتَي الوحيدة!

.....

.....

انسان اسطنبول يجهلني،

ويجهل زوجتي!



هذا أنا.. فعمي صباحاً يا أثينا
ومعي اليك تحية

من ابن رشد وابن سينا
لم يطلبوا كتباً،

فقد سمعوا تفاصيل المصيبة
واستنكروا تعذيب جالينوس
في «يورا» الرهيبه...

.....

هذا أنا.. فعمي صباحاً،
واغفري لي إن سألتك عن صديق
باسم ميكيس!

كسروا على كتفيَّ أرغولي،
فقلتُ أقوم أقصد صاحبي
فلعل نايًا عنده، لم يكسروه على جبينه!
- من أنت؟

من طول البكا عشتُ عيوني يا غريب
وتمزقتُ رثتي
وقصّوا جبهتي رتباً

على أكتاف قواد المظليين والبوليس
أصحاب الفخامة واليخوت
وأنا معلقة على برج الكنيسة
آه. من شعري معلقة. أموت
من أنت؟

أبنائي ذباب في شراك العنكبوت
حزن وأوزو يومهم
والعام سرتاكي وحزن!

.....

- لم تعرفيني يا أثينا!
لم تعرفيني. فالوداع. الى غدٍ،

يا انتجوننا!!

سقراط هذا العصر، يرفض كأسه

ويموت باسم آخر

في ساحة الاضراب،

في المنفى،

أو السجن الذي سيصير يوماً مدرسة!!



برلين تعرفني،
وتذكر قامتي ودمي وصوتي
برلين تشهد انني
في ليل بوخنفالد، كنت شريكها
في ليل نكبتها بموتي.
فلتعطني يدها،
أقبلها. وأمنها جيني
وأقول: يا أختي التي خبرت عذابي
باركيني!

.....

برلين تعرفني،
وتعرف زوجتي،
وهموم بيتي!



ليلاً.. أحج اليك يا حبي القديم

ليلاً.. بلا باقات أزهار،

بلا تحف ثمينه

يا جدتي،

يا جدة العرب الحزينه!

في حلة الافرنج، يا حبي القديم

أدلجت. لا كُتبي مشرّعة على حد الأسنه

أدلجت. تثقل كاهلي المطعون محنه

والجرح رحماني الرحيم

يا زاد أجدادي، وزادي،

في الطريق الى النعيم..

شلت دمشق يديّ، لكنني شفيت

يوم استرحت على يدك

حبيبتي.. يا قرطبه!

فقاتُ كنانةً بؤبؤي

فرددت لي بصري مُعافىً عاشقاً

يا قرطبه!

ضيّعتُ في بغداد صوتي. ثم كان،

أنا التقينا في شوارعك الرؤى

يا قرطبه!

سلطانة الحزن المعرّش ياسميناً

فوق أكتاف الزمان

كوني لنا.. يا قرطبه

كوني لهم.. يا قرطبه

لا بأس.. ما دامت جذورك

صيحةً في مهرجان!

- ردّ الشباب إليّ،

أن أعطي مغني القافله

صوت القرون الحافله

زاداً على درب القرون الحافله،

لكتني بدلتُ يا ولدي

أناشيدي

وألواني

واسم العائلة!

- لا بأس، ما دامت جذورك

صيحة في مهرجان!

- ما خطبُ زوجتك الفقيدة؟

هل بدلت صوتاً

وألواناً

واسم العائلة؟

- حبي لها،

ولذا أُصدّرُ للنساء الاخريات

لحمي وأشعاري وأرغفتي

وأعواد الثقاب..

حبي لها!

ولذا، تربي قامتي ظفراً وناب

وتغيبُ في كل الجهات

وتعودُ من كل الجهات
ليكون ميلادُ،
وتطلعَ عشبَةٌ،
ويُشقَّ باب!!

رحلة السراييب الوحشية



لم تمثلُ الريح التي روضتها، بغبار طلُعي
غدرت بعاشقها الجميل
المحل غلته لهذا العام،
والصبر الطويل..

لم تمثلُ الريح التي روضتها، بغبار طلُعي
وقشور أشجاري مشققة ككفي
والنسغ منذور لصيفٍ
فلتبك زوجتي الحبيبه
ان زرتها في السجن،
محنياً على أزهار شمع !



لم تمثلُ الريح التي روضتها من ألف عام
فتكاثروا.. وتكاثروا..

يا أمة الصليان، يا سكان مملكة الخيام
نعم الوكيل، وكالة الغوث الكريمة،

والمطابع

عسلًا تدر،

على برق الدفعة الأخرى من الأوطان،

كرتات الاعاشة!



لم تمثلُ الريح التي..
شكراً لكم. شكراً،
على هذي الصناديق المليئة بالدواء
والحزن. والسردين. والذل المقدد. والثياب
وأقول شكراً مرة أخرى،
إذا جدتم ببعض الأغطيه
فالبرد فاكهة الشتاء..
شكراً لكم
باسم البساتين الخطايا
باسم حزن الأوديه
باسم الشوارع والمدارس والمخازن

باسم المعاول والمقابر والموانئ
ومراكب الصيد التي نسيت كلام الأغنية
شكراً لكم،
شكراً لكم،
من طحلب تمتد قامته،
لتصعد من ظلام الأقبية!



نضد ملفات القرارات..

القديمة والجديده

خذ قلب خفاشٍ

وعيني بومةٍ

وجناح قاذفةٍ

وسعلة طفلةٍ،

ستموت في سل الرئة،

وأكسر عليها بيضة العنقاء،

وأقذفها لقعر البئر..

تحترق الخيام

وبصير نسلك متعة للناظرين

وتدف أجنحة السلام

وتعود للبلد الأمين!

.....

أمحُ العناوين القديمة والجديدة

أمح الاذاعة والجريدة

وأكتب على الجدران، بالجير، الرواية والقصيدة

وأرسم على الجدران،

خارطة

وعصفوراً

وزهره

وأحلم قبيل النوم مره

فيعود للأرض السلام

وتعود في الناس المسره!

.....

إنس القرايين القديمه

إنس القرايين الجديده

واذكر، قبيل الأكل، مرات ثلاثاً في النهار

كل التقارير المهينة من خطوط المعركة
والنوم في عزّ الحراسه
والسطو في عزّ الظهيره
والأخوة الجبناء، سرّاً،
والاراجيف الحقيره
وأذكر صفاراً يخدمون على نفايات الكناسه
وأذكر وجوه النائمين على غبار الأرصفه
والساهرين على محطات القطار
والمائلين على منصات السياسه
وأذكر سقوط أميرة الأزهار
في وضع النهار..
لتصير قربان الفصول القادمه..
في الليل.. منشقاً بسيف، صُك من نور ونار!



في العالم السري، تختلف الطقوس
عن عالم النابالم، والأنباء عن قتلى المعارك
في العالم السري تختلف الطقوس
عن عالم الدم والهبوط على القمر
قبل الهبوط على الحقيقة
في العالم السري تنغلق الحديقة
ليصير دمعي أول الشوط الطويل الى الثمر
وتنال راحتها الجميلة في اللغات
قبل الرجوع الى السفر
في حقل ألغام الجهات
.....

من كل أطفال العواصم
والأقاليم البعيدة
زوج... وكركرة رشيقة
من كل أزهار الحدائق والبراري والمياه
زوج... وأجنحة سعيدة
تلهو بدون بطاقة رسمية
من سلطة الأمن المریده
وتدف صاعدة، على شرفات أقواس القزح
لتنام في شعر الاله
وتعود قبل الفجر،
حاملة زواويد الفرح
.....

من كل نوع. آه. زوج
آه. يا نبض الحياه
في العالم السري.. آه!!



حلت صنوبرة صفائرها، وظللت الجنود
العائدين من الحدود
شمس الظهيرة في بنادقهم وأتربة الخنادق
- الجو خائق!
- أبصرته متحفزاً،
أبصرت في كفيه موتي
جمدت يداي على حديد البندقية
لم يطلق النار.. اقتربنا.. ازداد حجم السنديان
بادلته تبغاً بماء.
ماذا يقول الادعاء

في نص أنظمة الطوارئ والشؤون العسكرية؟

- لكنهم حمقى. برايرة. حفاة!

- الموت في بيتي،

وبين يديك يا أمي الحبيبة

أحلى لدي من الحياة

في جرح أرصفة غريبه!

.....

حلت صنوبرة ضفائرها وظللت الجنود

الميتين على الحدود

- في جيبه المثقوب عند القلب، صورة أسرته

- في جيبه قرط وآخر صورة لخطيبته

في أذنها اليسرى شقيق القرط، منتظراً شقيقه

- منديله. عنوانه. رسالة من طفلة،

مبتلة بالدم، بين حروفها اشتعلت حريقه

- لم يبق غير ذراع،

وحذائه المعجون بالدم والتراب

- لم يبق منه غير ابزيم الحزام.. ورتبته!

ويصيح بياع رمادي ضئيل

مستبشراً بالخبز، وهو يجدُّ في رفع العقيره
ليبيع سم ملاحق الصحف الحقيه

(عدد خصوصي مثير

قتلى بلا عدد. وأسرار مثيره

أنباء معركة أخيره

من قلب خط النار..)

- من قلب الجنون على الشفير!!

.....

حلت ضفירתها على النعش المجلل بالسؤال:

من قال، يحمل في حقيبته الصباح

صوتاً.. لساحات المدارس

فيعود محمولاً على كتف المساء

ذكرى لساحات القتال

وبطاقة مطبوعة.. من قائد الاركان

تحمل للقتيل وسام فارس!

.....

(في سالف الأزمان،

كان الورد مرسال الحبيب

لحبيبه.. ولكل زهره

معنى: تراك تحبني؟

غيران!

يا حبي اذكريني!

في حاضر الأزمان،

صارت كلها.. كل الورود

صيحات حزن فوق تابوت،

يغلّ فتى وفكره..)

.....

(لا. لا تموتوا

يا شيوخ مدينتي. لا. لا تموتوا

فالورد لا يكفي لغير الميتين على الحدود..)

.....

(يا موت! كيف أتيتها؟

يا موت! كيف عرفتها؟

يا موت!

هل أعطتك وصف طريقها هذي البيوت؟!)

.....

حلت ضفیرتها علیه
وبکت.. وکان بکاؤها
یأتي ویصعد غارقاً فی الدم، من کل الجهات
فالحزن تعرف سره وطريقه کل اللغات..



مستلقياً في النهر،
مغموراً بأحزان الطحالب
أو مائلاً في غمرة البیداء،
مدغوماً بأعمدة الرمال الغاضبة
أو واقفاً في الريح،
مشحوناً بأجيال تحارب
اسكندرون يتم سمفونيته
اسكندرون يفك انسانيته
من برجك المرصود، يا أرض الشמוש الغاربه!

.....

باسم الهواء الطلق
والحب المغمس بالتراب
باسم ارتطام الفجر بالسكك النقية والمعاول
باسم الشواهد والسنابل
باسم الاغاني. الياسمين.
الضحك في فيء المنازل
وشقائق النعمان.
والزيتون.
والقصب الملوّح في الضفاف
باسم الحنين الى الطفولة
باسم الحنين الى الشباب
باسم الجنّازة والزفاف
اسكندرون يريد زوجته،
ويحلم بالسلام..

مراثي سميح القاسم

﴿ب﴾

من قمت جبل الجرمق . أعلى جبل في وطن الأسماء
صار كلام الرب إليّ أنا المنبوذ سميع القاسم
قال الرب إلهي استجمع أحزانك والمطر القادم
وأستجمع موتى قومك والمرضى والأحياء
وليصغ إليّ الأخضر واليابس
قال الرب إلهي تأتي أيام يتخثر فيها صوتك
ودموعك فيها تتخثر
ودماؤك تجري فيها قنواتٍ قنواتٍ حفرتها كفاك
تأتي أيام تنكرها الشمس فتنكرك الأيام

يا من تعمل في عيني الشر وتقهّر في عيني الأيتام
يا من ملأت أوديت الشرق خطاياك

«مضى فرح قلبنا، صار رقصنا نوحاً سقط إكليل رأسنا،
ويل لنا لأننا قد أخطأنا»

من قعر البحر الميت ناديت الرب إلهي ناديت
في بيتك يا ربّ الجند أقمت مذابح للبعل
واكتنفتني في بيتي يا ربّ الجند حبال الموت
وأصابتنني شدّت هاويتي كابدت الويل
قرّبت جميع قرابيني أعطيتك يا ربّ الجند خيولي
وشياهي وحديقت بيتي
لم أعطك أزهار البريّة، أزهار البريّة ملكك،
لا أعطي ما لا أملك.

أعطيتك أطفالي فلماذا تقصم باللعنت صُلبي
أعطيتك يا ربي الرطب الحشف الزيت الزيتون
الحطب الحنطة.. مُرني ماذا يرضيك
مُرني يا ربّ الجند لأعطيك!



هو العار حتى الضحى
أو هو النوم حتى الجريمة
على أي حالٍ تظل الخرائط وهماً تظل الوثائق
وهماً ووهماً تظل الأغاني القديمة
تناسل إذن يا كلام الجرائد
تناسل إذن يا ذباب المقاعد
شممتُ تراب بلادٍ فأكد أني ورثتُ كما ينبغي
رئةً عن رئةً
ولما أخذتُ ربابة جدِّي وأنشدتُ هذي

الشروقيّة البكر صاحت ربابة جدي:
يدا عازفي مئة بالمئه.
ولكنّ صوتاً جديداً يغرغر بالدمّ صوتاً
جديداً، فأين؟
وقلتُ اهدئي واقبلي،
يتشهى الشهادة من آمنوا وأماطوا اللثام
فلا الليل ليلٌ ولا العين عين!
هو العار حتى الضحى
أو هو النوم حتى الجريمة
فيا أهل هذا الحمى المتوتر كالقبضة اليائسه
أعبروا الغريب قميصاً ليستر عورته ريثما..
(تَقْمَصُ بالأمس نهراً فجاءت خيول مجنحةٌ
شربتُ نهره، فأَكتوى ساغباً لاغباً واكتوى
تَقْمَصُ مئذنةً. ثم جاءت نسور الخرافة
فانهارت المئذنه
تَقْمَصُ زيتونةً غير أنّ الرياح)
وما راح راح
فماذا يجيء غداً يا طبيب العيون؟

فماذا يجيء غداً؟

فماذا يجيء

«وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون - ولما
جهّزهم بجهازهم قال أتوني بأخ لكم من ابيكم، الا ترون أنني أوفي
الكيل، وأنا خير المنزلين - فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا
تقربون»

فان لم...

فلا كيل...



لام نون

وضراعة روعي، عمّادي في الحمأ المسنون

والكفن الطالع من جلدي

والتابوت الطالع من جسد الزيتون

والأسلاف الموتى الأحياء الموتى

والأحفاد الآتون

حملني أهلي دمهم حملت لساني دمهم

صاحوا من حنجرتي المذبوحه

قالوا يا من ملكك في الشرق وفي الغرب وما بينهما

قالوا شرّعنا الأبواب ليدخل عابر دربك

قالوا آمناً من شدة حبّك

وكفرنا من شدة حبّك

«قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا

فهل الى خروج من سبيل؟»

إجعل دهر الغضب قصيراً

واجعل دهر الحزن قصيراً والغربة

يا سيد قلبي. طهرت ضميري في نارك

وضميري في روعي. روعي طاهرة في نورك

روعي في جسدي. لا تقتل جسدي

إثمي أكبر منه وعقابك أكبر...



أردتَ فسمعاً وطاعة
أردتَ فمالتَ مع الريح أشجارنا العاليه
ولم نتخطْ حدود العذابِ قروناً
ولم نشتبِه بالمشيئةِ

لم ندخر ميةً في القناعه
وسمعاً وطاعةً

حملنا سلاسل أسياننا وشكرنا
تناحر فينا الغزاةُ استباحوا هوان منازلنا،

وشكرنا

عَصْرْنَا جَمَاعِمْنَا فِي التَّرَابِ، اَنْدَغَمْنَا، اَنْدَثَرْنَا،

وَعُدْنَا سَنَابِلَ بَعْضِ السَّنَابِلِ

لِيَأْمَنَ سَادَتُكَ الْكَهْلُ شَرَّ الْغَوَائِلِ

وَجُعْنَا كَثِيراً عَرِينَا كَثِيراً وَمَتْنَا كَثِيراً

ولكن.. شكرنا.

أردت.. فماذا تريد؟

«ونحن نقطع خشباً من لبنان حسب كل احتياجك، ونأتي به اليك
أرماتاً على البحر الى يافا، وأنت تصعده الى يروشلايم. وعد سليمان
جميع الرجال الاجنبيين الذين في أرض اسرائيل بعد العد الذي
عدهم آياه داوود أبوه، فوجدوا مئة وثلاثة وخمسين ألفاً وست مئة.
فجعل منهم سبعين ألف حمال وثمانين ألف حطاب على الجبل
وثلاثة آلاف وست مئة وكلاء لتشغيل الشعب..»

أردت. فماذا تريد؟

أما من مزيد. أما - من - مزيد؟!

«- ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله، فمنكم من يبخل، ومن
يبخل فانما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء، وأن تتولوا
يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم»

وهل... من... مزيد؟



كانت طالعةً من برية هذا الشرق
كانت ضامرة القامة نافرةً وجميله
حملتُ بي وبها يا ناس حملت
حملتُ بي يا رب ومني حملتُ
أنجبنا وأنجبنا
هل كانتُ أمًّا يا ربي، أم كنتُ غمامه؟
عاقبُ نوحاً يا سيد نعمته يا مولاي
كان يعاقر خمرة في أندية الليل وكنا في الطوفان
والموت سلامه

ماتت سيدتي وجميلة عمري لكني لم أهنأ بالموت
فانظرنى واسمعني يا بارىء هذا الصوت
ها أنذا أبكي زنبقة السهل المشهودة بين صبايا الأرض
ها أنذا أندب حظي العاثر في دالية العمر
جُعلاً مقلوباً أو عاصفةً
ها أنذا أطرق أبواب الأمم المتحدة
(أو غير المتحدة)
ها أنذا أتقلص في برد الساحات المهجورة
ها أنذا أمتد على كل جهات المعموره
وجهي مركبة فضاءٍ تنكرها الكرة الأرضية
قلبي الرمانة قنبلة ذرية
وذراعي أسطوره
وخطاي قضيه!
ها أنذا أسأل رعيان السفح القاتم
هل شاهدتم يا ناس
في أي طريقٍ سار حبيبي المظلوم الظالم
دليني يا عصفوره
أعطوني أيديكم يا أبناء الحنطة والتكنولوجيا

يا طلاب الجامعة العمال الفلاحون الجند الشعراء

هاتوا أيديكم.. ها أنذا أغرق

هاتوا.. ها أنذا أتمزق

أيديكم..

ها أنذا..!

لم أطلب غير كفاف اليوم وظلّ الشجر وسقف البيت

لم أطلب أكثر من عدل الطقس وحكمة محرائي والاثلام

هل كان كثيراً يا ربّ جهات الأرض وربّي

أن أطلب شيئاً من مائدتك

شيئاً من فضلة مائدتك

ليتامي، يتامي شعبي

هل كان كثيراً.. يا ربّي!

ها هو قد وقع الظل على الظل اندرزت أضغات الأحلام

اشتعلت منديلاً بين أصابع أُمّي

أُمّي ضائعةٌ في كل موانئ ملكوتك

لا طمة تديها، تبكي وتلوح وتنادي

لكن، من يسمع، من يسمع، مَنْ؟

كانت عاصفة من لدني

وعواصف كانت من لدنك

هلعتُ وانتُهكت سعات النخلة عنقود النخلة جذع النخلة
أبكي، يا رب الجند القاضي والشاهد، أم أشكرُ
ما دامت بعض جذور النخلة سراً من أسرار الطين..

«اسمعوا يا جميع الشعوب وانظروا الى حزني. عذاراي وشبابي
ذهبوا الى السبي. ناديت محبتي. هم خدعوني. كهنتي وشيوخني في
المدينة ماتوا إذ طلبوا لذواتهم طعاماً ليردوا أنفسهم».

لكن.. من يسمع؟

على سطح بيتي وقفت صغيراً على صلعة الكون والفاتحين
يدي، وطائرة من ورق

رأيتُ زوارق أهلي رأيتُ الشباك رأيتُ الفرق
صرختُ ولم يسمعوني استجرتُ ولم ينجدوني

صغيراً على سطح بيتي
يدي.. وطائرة من ورق

ضحكتُ، وكان على الأفق ظلُّ الفراشه
ذهلتُ، وصار على الأفق شكل الغراب
فزعت وصارت على الأفق طائرة.. طائرته!

وصار الهدير يخيٲُ الى البحر لحم الشفق
ومن سطح بيتي هربتُ صغيراً
تركت على الباب طائرةً من ورق
تركتُ على الرمل محفظة الكتب المدرسيّة
وفي الماء أغنية بعضها صوت حورية البحر،
والبعض عن سمك القرش واللغة الأجنبية
ولم يسمعوني
ولم ينجدوني

«كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب. كيف صارت كأرملة
العظيمة في الأمم. السيدة في البلدان صارت تحت الجزية. تبكي
في الليل بكاء دموعها على خديها. ليس لها معزٌّ من كل محبيها.
كل أصحابها غدروا بها. صاروا لها أعداء».

على سطح «لاهاي» ناديت لم يسمعوني ولم يفهموني ولم..
ترجّلتُ. جاست خطاي الثقيلة سطح الكرّه
ومارس جسمي جميع طقوس المجاعة والمجزره
ويا ربّ! ها أنذا تحت وجهك. جسمي يجوب
المنافي جميع المنافي ولكن على سطح بيتي ظلّت

سنونوةُ الحب والخصب والذكريات
وظلت دمائي على سطح لاهاي والكلمة القاتله
وصارت يداي على سطح بيروت صارت بشكل الصليب يداي



ها أنذا، يا نافخ الأرواح
في جثث البذار
ها أنذا، وحدي على الأسوار
مئذنة مهجورة
نبتاً جحيمياً بلا ثمار
نفختُ في بوقي
ولا غير الصدى في نشرة الأخبار

«قوموا اصعدوا الى أمة مطمئنة ساكنة آمنة، يقول الرب، لا مصارع
ولا عوارض لها، تسكن وحدها وتكون جمالهم نهياً، وكثرة ماشيتهم
غنيمة...»

وحدي على الأسوار

عَذَّبَنِي حَبِي

غَرَّبَنِي شَعْبِي وَلَا شَعْبِي

وَأَغْلَقْتُ بِنَادِقِ الْغَزَاةِ

نَوَافِذِي.

وَأَطْفَأْتُ حَبِيبَتِي مِنْ خَوْفِهَا الْأَنْوَارِ

«آه يا سيف الرب حتى متى لا تستريح. انضم الى غمدك،
اهدأ واسكن...».

مَاتَ وَحِيدَ الْقَرْنِ. يَا مَنْ تَخْلُقُ الْعَالَمَ أَزْوَاجًا،

وَجَسَمِي قَرْنَهُ الْوَحِيدَ

وَيَشْحَذُ الْغَزَاةَ فَوْقَ جَسَدِي حَرَابِهِمْ

وَيَصْبِغُونَ فِي دَمِي ثِيَابَهُمْ

فَمَا الَّذِي أَفْعَلُهُ بِصَوْتِكَ الْوَعِيدِ؟

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ، لَا يُؤْمِنُونَ».

حَزَنًا حَزْنْتُ، وَيَكَاءً يَا أَبِي بِكَيْتِ

وَلَمْ تَزَلْ مَنَازِلِي الْمَهْجُورِ

مَغَائِرًا وَحَشِيَّةً

وَلَفْتِي الْمَقْهُورِ

زوبعة للطلع والصيحة والرطوبة
ولم أزل محتضراً
ولم أزل منتظراً، في خدمة الولايم
وغارقاً وعائم
أهز لو أهز من سباتها المعمورة:
بالصوت

يا سامعين الصوت
أن لهذا الفارس الصغير
أن يترجّل
عن جواد الموت!



«ارتخت دمشق والتفتت للهرب. أمسكتها الرعدة وأخذها الضيق
والأوجاع كماخض. كيف لم تترك المدينة الشهيرة قرية فرحي.
لذلك تسقط شبانها في شوارعها وتهلك كل رجال الحرب في ذلك
اليوم، يقول رب الجنود، وأشعل ناراً في سور دمشق...».

وفوق مسام الحشائش أم فوق أجنحة الطائرات
يكون همود العواصف، راد الضحى أم مساءً يكون

ويوم تحل ضفائرها السود، أختي، بماذا
أناديك يا سيد الجسد الهشّ والمهجة الظامئة؟
بماذا أناديك يا واهب الملك من ليس يملك
ويا جاعل الماء والنار ميزان عدلك
بماذا أصون ملامح أرض الرماد
بماذا أتم رماد بلادي
وكيف أتم رمادي؟
تباركت، تعطي وتأخذ، مستبدلاً بالقليل الكثير
ومستبدلاً بالكثير القليل
ولكنّ عبدك هذا المقيم على طللِ دارسٍ
يشتهي زهرةً زهرةً واحدة
فمن أي جيلٍ .. إلى أي جيل؟

«مصر عجلة حسنة جداً، الهلاك من الشمال جاء جاء، أيضاً
مستأجروها في وسطها، كعجول صغيرة. لانهم هم أيضاً يرتدون
يهربون معاً... قد أخزيت بنت مصر ودفعت ليد شعب الشمال...»

وها أنذا في جميع الجهات
أضمد جرحي بفضلة ثوبي وأوراق أشجارك القاتمة

وأغسل أدران جسمي وروحي بدمعي ونارك
وأرقب نعمتك القادمة
فبارك شهيد غرامك بارك ضحية عدلك
يا ربّ بارك!!

وقال في رثاء الطفولة..

دماً أبكيك. وأضحكك دماً. أيتها الطفولة
وتمثالاً لك في مدخل الموت صار جسدي
يا منبوذة كالصداً على أهلة المساجد
يا مبتورة كقطعة الجبنة
سماً أنضحك من مسام جسدي الحجري
يا طفولة الأحزان المتحفزة
قطيعاً من القطط البرية الجائعة.
فوق بحر الزيتون وجزيرة الشغف الآدمي
وقفتُ هنيهةً بين البدء والختام
أطلقت صيحة حادة على جبل حيدر
قلدتُ معلم الدين

وشتمت معلم الحساب وقواعد اللغة
على جبل حيدر
(لو أنك تعرفين جغرافيتي يا أكداس الكتب!)
في طفولتي ذات الشاربين المعقوفين كالعقرب
والعضلات المفتولة بلا اكتراث
أحببتُ نشيداً حماسياً معرباً
وحين تعمشقتُ على التينة الذليلة
ضربتني أمي وهي تنتحب:
ستراك طيارة اليهود يا مقصوف العمر!
في طفولتي كان جدي أعظم رجل في العالم
على مائدته ثلاثة كتب سماوية
يتحدث بكلمات صعبة وصوت جهوري
ويستشهد بالأقوال المأثورة
في الشتاء يصير جدي أضخم وأجمل وأغنى
وحين تزوره الحكومة
يدعو لصاحب الجلالة بطول العمر
ويقدم لها فنجان قهوة سادة

ثم يقدمني فخوراً، لأغني بالانجليزية:

MARY HAD A LITTLE LAMB

LITTLE LAMB

LITTLE LAMB

في طفولتي اشترت لي أمي قبعة

فأصبحت بحاراً انجليزياً

واشترى لي أبي قميصاً

فأصبحت أحد رجال الكيبوتس

وغنيت للحاكم العسكري (بالعبرية طبعاً):

גשם גשם גשם

גשם גשם גשם

גשם גשם גשם גשם גשם

وشدّت جدتي شعرها

وهي تترحم على أيام سفر برلك.

أبكىك دماً يا طفولتي

يا ملعونة في الطفولات

يا ملعونة الى دهر الداهرين. آمين.

لماذا لم تملكي علماً وجيشاً

ونشيداً حماسياً غير معرّب؟!

وقال في رثاء الطريق...

وها أنذا، أولاً وأخيراً،

موزع بين التفاحة والحجر

قالت التفاحة:

لتكن مشيئتي ليأت ملكوتي

لأنني اللدونة والغبطة .

والثمرة والماء والزنبقة

قال الحجر:

لتكن مشيئتي ليأت ملكوتي

لأنني الحقيقة والحد

وقال الوطن:

أيها الأخوة المواطنون

من أحبني منكم

فيأكل التفاحة وليقذف بالحجر

ولأن حزني شديد والسماء بعيدة

لم أحفظ شيئاً في قلبي

فاشهدوني يا أخوتي وأبناء عمومتي
ممزقاً بين التفاحة والحجر والوطن..

وقال في رثاء نفسه..

السلام عليك يا زوجته يا أرملته
يا مضطجعةً على أعشاب جسده
يا مستحمةً في ينايعة المسمومة
يا راكنةً الى ظله
راجعةً بين رثيه
واقفةً على خاصرته
صاخبةً بين جبهته وسلسلة الظهر
السلام عليك يا خبزه المقدس
يا نبیذه الممهول بالدم ووقود القاذفات
ها هم قد أقبلوا من الظلمات
حاملين جثته العارية
على رؤوس أصابعهم المقددة

فاحفني قليلاً من كوثر ينابيعك المنسيّة
لجواده الأبيض الصاهل على التلال
انهضي واشهدي راحتك المبسوطة في الظل
مثقلةً بالسُّور والفهارس والأخاديد
واقراي مستقبله كيفما تشتهين
أيتها الحرة في تخوم عبوديته
لقد ثلموا خنجره وكسروا بندقيته
فاحفني قليلاً من الدموع والدم (ووقود الطائرات)
لجواده الأبيض الصاهل في الوديان..

وقال في رثاء الجندي المجهول..

أنوح على طولك الحلو
يا سندي. يا أمير العرب
أنوح على سرج خزّ ومهماز فضّه
وأندبُ مثل النساءِ،
ركائبك العاليات الذهب
ومأساة ومضّه.

الى أين يمضي مطهّمك اليوم. والبيد رحبه
الى أين يمضي؟

وأنت مقيم على عهد سيدة السيدات
الى أين يمضي؟

وأنت الطريق. وأنت الجهات!

الى أي أفق يخب؟ وأية أرض

تثير صهيله

وتُنخي القبيله؟

دع النوم. يا جسر نسلي الى الضفّة الثانية
أسمعني؟

نهضت نجمة الصبح

واغتسلت بالندى الياسمينه

وها هم رفاقك في السفح

ها هم يطيطون شوقاً الى مطلع الفجر

فانهض اليهم،

وها هو في الافق سور المدينه!

وقال في رثاء الذين لم يموتوا..

أي سلامٍ هذا اليغمرُ نفسي. أيّ سلام

هذا الصمتُ الرطبُ الشاسع

هذا الضوء الساطع.

نائمة مملكتي. مملكتي تحلم

في ظل الأشجار الشهباء الكروية

«ذهب الذين أحبهم»

والدرب وحوش ضارية

«وبقيت مثل السيف فردا»

ودروع الموت قوية..

ذهبوا في كل وسائل نقل الأحلام

سيدة الأحياء الموتى

قاتلتي الجنّيه!

أي سلام هذا اليغمر نفسي

وأنا أتنفّس في السجن وفي المستشفى

رائحة الجثة والآمونياك
وصفوف جماجم أحبابي وجماجم أعدائي
تتزاخم في هرج تحت الشباك..
(وأنا يا كفر قاسم
أنا لا أنشد للموت. ولكن
ليدِ ظَلَّتْ تقاوم!)

أنشد للريح الممنوعه
أنشد للأيدي المقطوعه
لا يُفرح قلبي أنا ما متنا
يُفرح قلبي.. أن نحيا!

«ويوم كان حنان وقيافا رئيسي الكهنة، كانت كلمة الله على يوحنا
بن زكريا في البرية، فجاء الى جميع البلاد المحيطة بالاردن، يكرز
بمعمودية التوبة، لمغفرة الخطايا..»

من يبصر يوحنا الطالع من أعناق المذبوحين؟
من يسمعه يكرز بالمعمودية في كل جهات الدنيا؟
(لا يفرح قلبي أنا ما متنا
يُفرح قلبي.. أن نحيا!)
الكوثر يا أحبابي

منطقة مغلقة، لمناورة الفاتح والأسطول السادس
ماء الورد شحيح من أعوام
قوموا نتعمّد في نهر الحسرة والدم
وتعالوا نصعد بالتوبة في درب الآلام..
أيتها الرثة المشقوبه
برصاص القاتل والغربه
أيتها الأبواب المختومة بالشمع
أيتها الأعجوبه
يا وجه حبيبي يا قمر الدمع
أيتها الأشجار الأمطار الآبار الأزهار
الوديان الكشبان الأيدي الأصوات
الحملان السيارات الأرصفة البيارات
الأضواء الأقدام الأجراس
الصحف الآلات الموسيقى
الأعلام الأعياد
الميلاد
أنتظر الميلاد
ها أنذا.. أنتظر.. الميلاد!

الهك، الهك،

لماذا قتلتنك؟

حتى نكون متساويين حول مائدة المفاوضات
ينبغي عليّ أولاً أن أفضح العالم
من ثم، نتبادل التحيات والسجائر الفاخرة
ونستدعي رجال الصحافة ومصوري التلفزيون.
في هذه الاثناء الممهولة بالزئبق
خير لي أن أراجع دفاتر حساباتي الموروثة
وأن أتقصّى وجوه الاحتمالات
كل معادلة بحساب
فلم يعد من المحتمل - أو المنطق - أو اللائق -
أن أظلّ فارساً من الفسيفساء
يطأه السيّاح في طريقهم الى «قصر هشام»
أو حيواناً جريحاً يطن حوله النحل والذباب.

منذ بدايات لا حصر لها
يتكرر الأصيل والسحر على غربة الحمام الزاجل
بينما وردة القراصنة
تنمو وتمتد بعطرها السام..

منذ بدايات لا حصر لها
وأنا أتناول القربانة
وأترك الاجراس الوحشية
سائبة تقرع بلا انقطاع بين صدغي
(جمجمتي موصل جيد للحرارة والصوت!)

في هذا الزمن الغث
أضيئت شمعدانات الزيف حول جثماني المسجى
حيث كان أحبابي الأعزاء
ينفقون دمهم وأكاذيبهم الساذجة
في مقاهي الشيش بيش والنراجيل..
وعلى أية حال،
لم أكن لاختار غيرك يا مواجهة ثلوج العصر،

بجلدي هذا المرقع،
واقفاً للأعاصير والميول والضعف الانساني
إبطي قنطرة الريح والردي
ويا خوف عكا من هدير البحر!

آن الأوان للاعتراف
بأنه كان بوذي أن أنصرف بكليتي
لمراقبة سراج الليل والنباتات المائية
لولا وقوع هذه الحادثة الطفيفة
حادثة اغتيالي في عزّ الظهيرة!

ولأتني أملك كل هذا القدر من الحزن وسوء الطالع
يتحتم عليّ أن أكون أخطر الشهود..
لا، لست مجرد شاهد عيانٍ عاديّ
يمكن شراؤه برغيف من الخبز الأسود (أو الأبيض)
في أيام البطالة المرعبة..
أنا رفيق العصافير الهلعة
والزهور المتعفنة في بول الجنود وزيت الدبابات

وأنا، فوق ذلك

راعي السنابل المرشوشة بالسوم من طائرات الهليكوبتر

وأنا، فوق ذلك

طبيب العائلة التي تعاني قليلاً من الصداع وحروق النابالم

وأنا العائلة..

لا تقاطعوا عندليب الذهب

وهو يلقي كلمته الساذجة

(نلاحظ أن كلمته لا ينقصها قسط معين من الشر!)

فهو عدو طبقي لدود

لأولئك العائدين من المستقبل

دون أن يبشروا بشيء

سوى نشارة العظام وصرخة الفرع

انهم حمقى وسيئو الطوية

فلول ضالة وشرسة

من اقطاعيين وملكيين وقبليين وبورجوازيين

لن أغفر لهم فقد دمروا بساطتي

ونغصوا عيشة أمي الشاخصة اليّ

وأنا أخترق جدار الصوت
على صهوة جوادي هذا الأبيض..
حتى دمي تواطأ عليّ
ودلّ بوليس الأمن على ذخيرة قهقهاتي.
مع هذا، لم أفقد طبيعتي الوراثية
ف ذات يوم من أيام الرماد
دسستُ لغماً موقوتاً تحت الكرة الأرضية
لكنني حزنتُ كثيراً، وتراجعتُ في اللحظة الأخيرة
موقفاً عقارب الهلاك

في نوبةٍ حادةٍ من توبيخ الضمير:
أمي.. لا تسمحُ بمثل هذه الدعابة!
وذات يومٍ من أيام الرماد
رَكَبْتُ للارض جناحي طائرة نفثة
صارت الارض طائرة نفثة من أحسن ما يكون
حلّقنا في الفضاء الكوني
وفجأةً أصيب الطيار بالسكتة القلبية
(بقدر ما تسعفني الذاكرة، فقد كنا على ارتفاع ٤٠٠٠٠ قدم!)
بكيتُ كثيراً من شدة الحزن على طائرتي الهاوية

شاهدني الملاك جبرائيل
ولكنه لم يخفّ لمساعدتي

الهي !

لماذا

تخلّيت

عني ؟

أنا مأخوذ بهذه الارض
ولا أريد أن يتاخم البحر بحر آخر
خلال عيني حبيتي أطيل النظر
الى جبال بلادي المشعرة
كصدر أبي المكسور بالسنديان
أجوس البيوت البيضاء ببصري الزائع
وأتسقط أخبار المجد وحكايا العشق الالهي
في مطاوي الأغاني الشعبية
بينما يثرثر الدوري مزهواً أمام أنثاه
وتتحفّز القبّرات الجبانات لاقتحام البيادر المهجورة
إلا من الأصداء القطنية العالقة في الأثير المنخفض

فوق حطام أرغول فلسطيني
تقلبه أصابع الريح الشمالية والخماسين
حاملة اليه أنفاس عازفه البعيد..

كل هذا رائع حقاً
لولا هدير الطائرات المقاتلة
فوق الذقون المشرّشة في الصدور
من شدة ما سفحت الجباه مذلتها
على وحول الدم والإسمنت الطازج!

في منتصف الطريق
بين فيتنام ونوادي نيويورك الليلية
يتعلق صبي الكساح
بحزام جنرال يفتل شاربیه الحليقين
كحبال المشانق.
حضرة الجنرال يتطفّل بجنوده على الفرع
ويتطفّل بجنوده على الحزن..
هنا دوسّ واضح لا بسط حقوق الانسان

وانني لأحتجّ..

على العالم أن يسمع هذه المرة ودائماً

أحتجّ بكل غضب

على هذا الخزي المطلي بماء الذهب

هذا الخزي الذي يقتنص الحواس غير الناضجة

يقتنصها برشاقة الكهرباء

كهرباء

Electricity

חשמל

مهما كان أسمها تبقى شيئاً مفيداً ومدهشاً

وهي كلمة جميلة وعالية في سقف الحلق..

لكن.. تصوّري أيتها المدينة الجاهلة

تصوّري جميع أسلاكك الكهربائية

وقد انقضّت عليها صاعقة فمزّقتها

وطرحتها على اسمنتك الطازج المبلل بالدم

هكذا.. هكذا..

أرقصي أيتها المدينة الجاهلة المدينة الزانية

أرقصي هلعاً!

فيا له من مشهد رائع
ويا لي من فتى شرير
حين أرى رقصة رعبك
متمتعاً، مستلقياً على قفاي من الضحك!
(ألا يحق لي أن أراك كما ينبغي ولو مرة واحدة؟!)

لقد ضبطتُك أيتها المدينة الزانية
متلبساً بالجرم المشهود..
في ساحاتك المزدانة بالاعلام وأقواس النصر
شهدتُ أعياد مشوهي الحرب
واكبْتُ الجنازة واشتركتُ في مراسيم الدفن
رأيتُ اليتامى الصغار وهم يضعون أكاليل الزهور
على أضرحة آبائهم المطفأين كأعقاب السجائر
رأيتُ عيون الخنازير الغلاظ وهي تلعق سيقان الارامل
رأيتُ البزنسمن وهواة جمع البانكنوت
وهم يجففون دموعهم التي لم تسل
بينما تعزف الموسيقى العسكرية
النشيد القومي!

لنقرأ معاً «كفاحي» للهر هتلر
هذا السيد الصغير المعتوه
(ليس معتوهاً تماماً
فقد أدرك جيداً ماذا يريدون منه
وحقق في وظيفته نجاحاً لن يُنسى!)
لنقرأ معاً،
لكن كيف استوعب أن يجلس مثل هذا الشيء
على عاصمةٍ عظيمة
بين خط الطول ١٢ وخط العرض ٥٢
قَدَّم على كتف نيتشه
والأخرى على عنق فاجنر
بينما جيوبه محشوة بمفاتيح القلوب والمصانع
اليوم،
يكفيني ان زرتُ بوخنفالد واحداً
حتى اكتشف سذاجتي وحمقتي
ازاء هذا القدر الهائل من القسوة البشرية!

الهي!
لماذا
تركتني؟

اسمع يا الهي
أيها الاله القاسي المنتقم
يا من يمتقد ذنوب الآباء في الابناء
في الجيل الثالث والرابع
اسمعني جيداً
فما أقوله لك لا يستطيعه الآخرون
أولئك المقعدون
في الصالونات الأدبية والدواوين الحكومية والاكاديميات
يشقّ هذا الصوت على الشحاذين المتسكعين
كالبراغيث، في يبرق الشعر وقميص الكلمة
أولئك الذين يفصلون الأغاني
صرعات صرعات

سيارة سبورت موديل ٥ حزيران ١٩٦٧
ابتسامات نواب الوزراء ورؤساء البلديات
ثم رشوة الأحزاب السافلة والمؤتمرات السياحية!

يشقّ هذا الصوت على كهنتك وسدنتك
والمختبئين كالجرذان تحت مسوحك الفضفاضة
اسمعني لتبعد عني أفاعيك المجنحة
بنواقيسها المثيرة للغضب
اسمعني، لتقدم استقالتك
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليك يا مريم
يا والدة الله
يا ممتلئة نعمةً
صلي لأجلنا

”טוב לגבר כי ישא על בנעוריו
ישב בדד וידום כי נטל עליו
יתן בעפר פיהו אולי יש תקוה
יתן למכהו לחי ישבע בחרפה
כי לא יזנח לעולם אדוני”

الهي !
لماذا
زنحتني ؟

حوّلت خدي دائماً
لصفعة العدو والصديق
يا ربنا وربهم متى تفيق ؟
يا ربنا وربهم ألا ترى
كلابهم تجرني من غرفة التحقيق
شلوأً من الاحلام والحراره
أنت ترى
دعني اذن أضربهم بقرحتي الجباره
دعني اذن أهشم البريق
في أعين الكلاب (ولتكن
قهقهتي مطرقتي !)
يُفتح باب غرفة التحقيق
(دورك أنت الآن، يا فاطمة الزهراء !)

حوّلت خدي دائماً
لصفعة العدو والصديق

يا ربنا وربهم
ولم أعد أطيق!

الهي!

لماذا

تبذتني؟

لماذا جعلت الموت فضيلتي الوحيدة؟

أرقد الى جانب أهلي في دنس الاردن

في حماة نهر الموت مملع الجسور

الطافح بالشرابين الملتهبة

والعيون الجاحظة بعدم التصديق

ساخطاً مأخوذاً أرقد

مدثراً بالاسماك الصغيرة الملونة

والنباتات المائية

بأوراقها الفسيحة الساجية

توشك أن تتفجر باحتقان خضرتها، هذه الأوراق

أرقد هنا بعفوية غريزية
ويتفجّر هتافهم المحتقن في مغاور الجبل:
فلتسقط العفوية!
الرمل الجليديّ هذا الجليد الرملي
لا بد له من بركان مُعدّ باتقان تام..
ولا ينقصني النموذج
فأنصب محجريّ راداراً للرياح
وفي عزّ الظهيرة (حيث وقعت الجريمة كما تذكرون)
ينزو وجهي الغاضب الى الاعالي
يكسر الحدّ الوهميّ بين الشمس والارض
لتصبح الأجيال من صُلبي:
هذا هو الكسوف الحقيقيّ يا رجال البلاستيك
أيها المحشون بالقطن المعقمّ والانتيبوتيكا
فأقيموا حفلات كوكتيلكم في البيت الأبيض
وأعدوا كأسى المسمومة..
لن آتي أيها الحمقى
لأنني منكم بدودة التّفاح وحشرات البرتقال!
بين عصر وعصر، تتجشأ الجريمة

لنتشكّل من روائح بلعومها الكريهة
خرائط و دساتير..

منذا الواقف وراء كل هذا العبث الناجز
أعطوني تفسيراً معقولاً لكلمة «معقول»
أعطوني مفهوماً حقيقياً لكلمة «حقيقة»
ثم فكّروا قليلاً بكلمة «حب»
ولا تتركوها نهياً لقرارات المحاكم
وهيئة الرقابة الدولية..

ثمّ اياكم أن تنسوا توجيه الدعوة
الى السير أنتوني ايدن
لحضور أعياد الجامعة العربية
لأن الرصاصة جاهزة في بيت النار
ويدي ما زالت على الزناد!

الهي!

لماذا

تركتني؟

مشرّد في الأثير المختنق بالغازات المسيلة للدموع
(للغازات السامة تقاليدھا الخاصة)

حيث تنعدم الجاذبية وتلتغي المقاييس.

ما هذا الظلام الباهظ

الذي يخطط عينيّ الحالمتين ببلاهة

يخططهما بأهدابهما

الى مؤخرة الجمجمة الى القلب الى الاخمصين

والى أطراف الأصابع؟

أيها الموت العاديّ.. لستُ مؤهلاً لك

لستُ نافعاً في صفوف المؤخرة ومواقع الدفاع

جسدي بُردة محمد بن عبد الله

جسدي قميص العرب

وفي ملفاتي المتنقلة دائماً

بين دوائر الكاويوز والباستيل الالكتروني

تجدون أسماء كثيرة..

هل سجّلتم في مفكراتكم، الاسم غسان كنفاني؟

وترفرف كالقراشة المحترقة

أهداب اصطناعية على عينيّ معلمة الميني سكيرت:

أيها الأولاد الشاطرون،

ما هي أوزان الفراهيدي في شعر كمال ناصر؟

سلوى حجازي تعاطت الفرنسية

وأحمد بوشيقى عربى جميل عمل نادلاً في مطاعم أوروبا

(يُفضّل أن تكون النماذج المعبّأة

مرفقةً بصور فوتوغرافية أمامية

كتلك التي تستعمل أيضاً في الباسبورتات المزيفة!)

.....

وهكذا، أستمريء التسكع في الموت

والموت قبل الأوان

في الموت أفقد الوزن

وأصبح في شمولية فضاء الموت

بين الشهوة اللاغطة بالديماغوجيا

وثبات الروح الخارق

وأنهار يوم أنهار

نيازك مشتعلة

على شيخوخة العالم المأخوذ بالسعار!
بعد كل ذلك، يبقى ميراث الأحفاد
تبقى صورتي في عزّ الشباب
يوم تفجرت ذراعاي من صدغي
كقرني وعلّ بدوي
ودغدغت حبيتي قدمي النافرتين من خاصرتي
بينما انتصب عضوي التناسلي من جبهتي
كسكة فلاحٍ نشيط
كقرن وحيد القرن
كصاروخ على أهبة الاستعداد
للأنتحار فوق جثة العالم القديم
أو كجندي الحراسة بباب الأمم المتحدة..
على كل حال، فأنا مولع بالهوروسكوب
قسمتي في برج الثور
وأرى صورتي الملونة المرحّة
تزيّن عُلْب لحمي المحفوظة
في واجهات السوبر ماركت المبللة باللعب

أرى صورتى هناك فأحزن كثيراً
وأكتب قصيدة طويلة في الرثاء الذاتي
غير أنني ألتهمها مع برسيم القنوت
فلا أحد يريد أن يفهم لغتي
سوى هذه البندقية الساخنة كعذراء!

الهي!

لماذا

تركتني؟

.....

منذ سفك الغزاة دمي للمرة الأولى
منذ زعزعتُ صرخاتي باسمين الأرياف الناسكة
منذ تهالك يتاماي
على حلقات أمهاتهم المذبوحات تحت الأسيجة
منذ رفع لي باطل الابطال قبعته بأدب جم
وأنا أتلقي تلك الدعوات الرقيقة:

«سيدي المحترم!

يسعد اليونايته نيشنز فري وارلد كومباني أن تتشرف بدعوتكم
الى الاورجيا التأبينية التي تقام احتفالاً بذكراكم الطيبة..»

يظل الزجاج حبي الكبير

تتحطم معاً باستمرار

يتلذذ بصرخاتي البدائية

وأتلذذ بصرخاته الحادة المدهشة

وهو يتحطم بين قبضتي

(حطم أيها الاله الكافر زجاج العالم وستحظى بسكرة
الموسيقى العظمى!)

الآن تبدأ الأورجيا. وما من زجاج لي

لأن هؤلاء الحراس المدججين بالسلاح

فوق طاقة رغباتي الجامحة.

على أية حال تبدأ الأورجيا

تتلوى الموظفات الصغيرات

بين أيدي الموظفين الكبار

تتفجر حمحمات الشهوة بين زجاجات الويسكي

(بالثلج طبعاً!)

ويدور العالم.

أما أنا، فلا،

ما من زجاج في متناول يدي،

أرقى المنصة الفخمة المهيبة

أستل أحقادي

من فتحة بنطلوني،

وأستمني!

توقع الأطراف المعنية وثائقها الهامة

وأقذف بذاري على صلعة الكون!

.....

ماذا تحمل يا ساعي البريد؟

أدعوة أخرى الى الأورجيا؟

لا أيها السادة

انني أحتج بكل ما في من موتٍ لطيف

تفوا!

على صلعاتكم الفاقعة كأقفية القروء

تفوا!

على أعلامكم الخفاقة

فوق جماجم أهلي!

«فأما أن تكون أخي بصدق

فاعرف منك غثي من سميني

والا فاطر حني واتخذني

عدواً أتقيك وتتقيني»

(شاعر جاهلي)

أهلي.. يا نظري.. يا خلاص روحي واثمها

أين أنتم.. يا ذوي القامات المسحوقة كالتبن

تحت مسامير الأحذية العسكرية الثقيلة؟

وأين أنتم يا شيوخ القبيلة وعلية القوم؟

أيها الشاحبون الحالmon

بالنسل بالهور العين بغلمان الجنة والبضائع الأجنبية؟

أين أنتم

يا من تكدسون نساءكم المازوكيات

كما يكدس الهواة طوابعهم البريدية!

يا من تصطف خواتم الذهب والماس فوق أظافرهم القدرة

بفوضى عساكر البادية!

أيها الملوك والرؤساء

يا ممالك سايكس - بيكو
أبنوا فلسطين في مؤتمرات قمتكم
واشربوا الكوكا كولا المصقعة
في ظلال أبراج النفط العالية
فوق ذؤابات النخيل الحزين هناك
هناك حيث تن السعفات المهجورة:
نحن سيوف العرب البائده
نحن سيوف العرب البائده

الهي
لماذا
نبذتني؟

أيتها البيوت البيضاء
يا منازل أهلي الثابتة من التراب والصخر
أي جمال يبقى بعدك لمدن الاسمنت المستوردة
تلك التي تنهب نور الآخرين
وتبقى باردة البرق

كلافتات الفوسفور؟

يا التي كانت منازل بيضاء وسناج دواخين

يا مرابع أهلي المقفرة

يا أطلال خولة

يا باقي الوشم في لحم الارض

«زمليني زمليني»

واشهدي دم أصابعي في ثمار عُليّك

لتعترف بي الآن وإلى دهر الداهرين..

أنا ابنك حيميت

أختنق في هلام الاسى الدبق

رافعاً ذراعِي

لأتشبث بقشة عائمة في الريح

من بيادرك الملعونة السائبة في الريح

بينما يقتسم المهرجون جسدي

ويقذفون آدميتي الى وحوش السّيرك!

الهي
لماذا
تخلّيت عني؟

أتحلل في ضبابك الوديع
هذا الناعم الناصع كنفاب خديجه
بعد قليل أندغم في عطر أعماقك الساخنه
بعد قليل أتشكّل في رائحة أعشابك
بعد قليل أنطلق عندليباً طائشاً
بين رياحك وأشعة شمسك
ولا أحد غيري يعرفك يا بلادي
لا شهداؤك ولا قاتلوك
مثلي، لا أحد يعرفك
وغيري، لا أحد يعرفك
ولني أنا، لي وحدي أنتِ
لأنك ترابي الأحمر والأسود
ولأني رمالك الناعمة والخشنة وأصدافك
وأنا عيونك المطفأة بالاسمنت المستورد

والأسمنت المحفور من لحمك
أنا البرقوق والسنديان وعصا الراعي
العلت السبانخ البلان اللوز
البرتقال الزيتون الصوان
الأطفال السمر الأطفال الشُّقر
العجائز القرى المقابر
الأيدي العاملة الرخيصة
المدن المنهوبة الخيول الجرذان الفراشات
الكلاب الضالة الصراصير الطقس
الليالي المقمرة الصباحات حكايا الشتاء
أنا الخلجان الجداول القذرة بزيوت المصانع الحربية
التلال الدوالي التطريز القنوات
العيون السود الصيحات الجهل الفقر
الشهادات الجامعية
اللاجئون المقيمون الشوار الخونة
أنا شعبك تاريخ ميلادك مفكرتك وأشياؤك الخاصة
يقتحمك الغزاة كما يفاجئني المرض
يدهمك السياح كما تدهم جماعة من الطلاب غرفة نومي

لا أحد مثلي يغنيك
لا أحد مثلي يبكيك
ولا أحد مثلي يمقتك
أمقتك أمقتك أشد المقت!

الهي
لماذا
شبقطني؟

في رمق النهار الأخير أقعد قليلاً لأرتاح
أنتخب صخرةً لم تصادرها بعد دولة الكيرن كيمنت
وأقعد قليلاً لأرتاح
أنزل عن جبهتي اكليل الشوك
في طقوسية تامة
ثم أفك رأسي لأنظفه من سناج السيارات
ونباح القاذفات المقاتلة في عيد الجثمانية
ومع طلوع الفجر
أعيد رأسي الى مكانه الطبيعي!

(من؟ يقرع؟ بابي؟

في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

أيها الناس

يا روح العالم الحكيم يا روح الحكمة

تعالوا وتفرّجوا

كيف تنفّس الشرطة كالبالون

أمام ابتسامتي العالية

ابتسامتي هذه الأبدية؛

ألف مرة قرصتُ آذان الابطارة الوسخة

جعلتهم يركعون في القرنة

ويباتون بلا عشاء

وها هم لم يتعلموا بعد

أف

الحمقى القوادون!)

تتحلقّ حولي الفراشات والجنادب المذعورة

لتستشيرني في أمر الغداة

أبكي قليلاً (قبل الطعام وبعده) كمشيئة الطبيب

ثم أفتتُ رغي في للأسماك وعصافير البرية

أحنُّ الى شِبابَةٍ راعٍ في بخار الينابيع
وأبكي كثيراً وأموت حتى السَّحر
(تصبحون على خير أيها الأُحبة
تصبح على خير يا الهي!)

ارفعي رؤوسك أيتها الأبواب لتدخل صبية البرتقال
أيتها القناطر تبرجي
هي ذي عروس الزيتون قادمة
ولتهداً ريح الجليل قليلاً
ولتصغ شמוש الياسمين الى مراثي
فسأرثينك الى الابد.. الى أبد الأبدين.. الى الغد
يا طيارة الورق المخطوفة من أصابع طفولتي

(ملاحظة تاريخية:
رداً على الحرب العالمية الأولى
والحرب العالمية الثانية
والحروب العالمية
والحرب
كان لا بد من اعدام طفولتي رمياً بالرصاص!)

لشد ما يخجلني فقري المزمّن
في حضرة يديك الحالمتين بالمواسم

المخضلتين بالدم، بندي الخفر والعافيه
يا صبية الهلال المتألّيء بالذهب
كخنجر عربيّ مخبأ الى الغد
في عُب زيتونة رؤوم.
لشد ما تخجلني يدي الخاوية
الا من تفاحة حبك القاتلة
وغدائر شعرك الحافلة بالنجوم
كشجرة عيد الميلاد
لشد ما يخجلني... وعذري معهم
كان لا بد من اعدام طفولتي تلك رمياً بالرصاص
كان لا بد من اعدام طفولتي تلك
كان لا بد من اعدام طفولتي
كان لا بد من اعدام..

الهي

لماذا

هجرتني؟

لا. يا سيد المونوكول والبابيون والنايالم
لا. أيها المتخيم بالحضارات وقشور الحضارات
ليست المسألة بهذه السهولة
ولا أستطيع السماح لك بالنوم الهاديء العميق
الى جانب سيدتك المدللة
المغفية وعلى صدرها «عشيق الليدي تشاترلي»
أنت تكس في بيتي المقلوب
اسطوانات باخ، بتهوفن وتوم جونز
أنت تشرب القهوة بالحليب على شرفة عمري
وأنا أحصي همومي ومواليدي
أحصي ليالي الشتاء وحفلات الطحين
في خيام وكالة الغوث.
لا عدالة في ذلك
ولا منطق في ذلك على الاطلاق
اذن فاسمح لهذا الحاضر الغائب أن يزعم قيلولتك المسلحة
منشداً تحت شرفته الاسيرة
الممتدة على كل آفاق الكون
الغائصة في لحمه كحربة:

«في الامطار عائدون
في الاعصار عائدون
في الرمال في الرياح
في التلال في البطاح
عائدون عائدون عائدون!»

.....

فاطمتي الزهراء
يقذفها الجنود من أقبية التعذيب
موجوءةً مهينةً
حيبتي المسكينه
باحث لهم بكل ما تعرفه عن سرّنا الحبيب
(يطوّق الجنود بيتاً نائياً
في طرف المدينه
نعالهم تسحقُ في رويّة
طفلاً ودكناً وياسمينه
ويطلقون نارهم
ويشعلون في الجذور نارهم

ويزرعون عارنا

ويحصدون عارهم

وتنحني المدينة!

يصدّع البرق زجاج البيت والسما

وتلسع المحاجر الحمراء

حببتي فاطمتي الزهراء..

يا ناس كُفُوا لحظةً

ماذا يفيد لومها

صغيرةً كانت،

وما أورثها والدها سيفاً

ولا حنت عليها أمها

مسكينةً حببتي يا ناس

مسكينةً فاطمتي الزهراء!

مثقلاً بالجراح

موصوماً بالوردة الكانيبال

كان عليّ أن اعتل حقيبتى المملّعة،

كحذاء قديم..

شتمتُ القبطان في سرّي، باحثاً بنصف عين

عن سائحةٍ أجامعها قبل الفجر

ويكون سريرنا

زورق النجاة المرتجف في هواء البحر الثقيل

(نستطيع أن نحزّ الهواء بالسكين كقطعة جبن)

هيه أيها الفتى النحيل الضائع

انعف شعرك الطويل

عساكر منهزمة بفوضى

في ريح الليل المشبعة بالضجر انعف شعرك

وادعُ النوارس الذليلة

الى وليمة جيتارك المَطعم بالملح والرحيل

أطلق وجهك الشاحب في المجموعة الشمسية

وازعق بأحزانك، ببارودك المشتعل

ازعق يا صغيري

فأنت في مأمن من موظفي الدوائر

وأسمائك القرش المباشرة!

غن للسلام
يا ذرةً من غبار الجيوش الجراره
ثم أبك قليلاً مع صخب الأمواج والمحركات
أوضح موقفك الدقيق
للآنسة «سوزان» التي أجهضت مرتين
حفظاً على سمعة العائلة!

عما قليل تذبل زهور الشاطئ البعيد
ويجيء دوري
سأغني لك أغنية نادرة
عن فلاح عربي من فلسطين
عن صائد أسماك يوناني
عن فايكنغ أخير
شهد الحرب الكونية الثالثة
وأبلى فيها بلاءً سيئاً
(الفلاح العربي يحفظ عن ظهر قلب
تغريبة بني هلال
صائد الأسماك اليوناني

مصاب بالسلّ في جزيرة يورا)

وأنا أغني لك

لسفينتنا الراحلة أبداً

للتوارس الجميلة الذليلة

أغني لقدمي المتعبتين

وللعالم:

«توتو توتو

هعريم يموتو

بيوم ريشون!»

الهي

لماذا

هجرتني؟

كالنمل

كالنمل نغلت في كل جهات المعمور

فمن أين أنت أيها الاحساس القائم

بأنني أراوح في مقبرة الأجداد

كابرة ماكنة الخياطة؟

(كان لنا بيت

كانت في بيتنا ماكنة خياطة

كانت من ماركة سنجر

خاطت لي أمي مربلة مدرسية

كانت مربلتي ورقة تين

كانت لنا أشجار تين كثيرة

مربلتي المدرسية بيضاء كالثلج

كانت الدنيا تندف ثلجاً في الشتاء

(ثلج هذه الأيام يستورد بالطائرات)

كنا نقذف العابرين بقبضات الثلج

ونقهقه على سطوح الطين)

أراوح في مقبرة الأجداد

بينما يندرز العالم تحت قدمي كقطعة قماش

هامش الأرض جسدي السائب

وروحى محورها المقيم

فانظرني أيها الاله المنقطع البيروقراطي

أفترس نفسي كحريق معزول
وأصوب الى حلقي مضخة الأستما
مشغول البال على حبيبة طفولتي
وياسمينة الدار..

الهي
لماذا؟

في زمن العُقاب
أطبخُ الموت في حليب أمه
حسب أحدث مبتكرات الطهارة الموثوقين
أحملة في سفرطاس غريتي
وأنطلق مركبةً فضائيةً.. في زمن العُقاب
نسبُ الضوء في دورتنا حول الكرة الأرضية
أنا والحزن نسبُ الضوء
ولم أعد أفهم أيننا يتعقب الآخر
كمخبرٍ بوليسي نشيط..
ولو!

ألى هذا الحد يمكن أن يبلغ العذاب؟

ولو!

قطعة تقطع هالعيشة!

ها هم يغسلون جلودهم المنزوعة كالأوفرولات

في نهر الدم الطازج.

على الضفة الأخرى يكتب الآخرون لافتاتهم المستعجلة

بلغتهم الطارئة وحدها..

لا بأس في ذلك،

إنه سبب جيد حتى يتذكر أطفالنا كل شيء

أما أحفادنا فلن يتجشّموا هذه الترهات

سيكونون أوفر حظاً منا!!

و... يا طالع الشجرة

هات لي معك بقره

هات لي معك بكره

شكره بكره

قال لي ربي عدّ العشره

٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١

كوليرا

ينتشر الرعب سيولاً مفاجئة
كدخان الحرائق المتوحشة ينتشر الرعب
ها هم سكان المدينة الزانية يرتجفون فزعاً
يهجمون على المنازل المنكوبة بالوباء
قبضاتهم مشاعل هستيرية
أصابعهم كمأشات رعب
يخلعون جذوع الزيتون والبرتقال
يمسمرون بها أبواب النكبة
ثم يسكبون أوعية النفط (على أصص الورد أيضاً)
من خلل أفاعي اللهب والدخان
يتشبث بجلدي زعيق الأطفال
يتشبث ككلايب الجزارين..
أعرف هؤلاء الأطفال معرفة «شخصية»
جونى. سمير. الياهو. شن. راج. ايفان..
لعبتُ معهم الاكس وقفزنا بالحيلة

سمير. الياهو. شن. جوني. ايفان. راج..

متى نكتشف أنهم متشابهون تماماً؟

وأنتي لأتحدأكُم أيها الأغبياء

أن تميزوا بينهم من زعيق اعدامهم هذا

لا.. لا قبل لي بكل هذه القسوة

يا اله الأطفال

لماذا

تخلّيت عنا؟

عامرة مكتبة «أبي قتر»

بطل الأزمنة جميعاً وضمير البشرية العميق

وعامر ذهنه الرشيق، بكل خفايا الصدور

رأى سنحريب يشتري السوفينير من مهزومي القدس

ورأى يحزقيئيل متسكعاً على أبواب الأمم المتحدة

عارضاً على المندوبين صور بناته العاريات

بأبخس الأثمان..

رأى أبو قتر أدق خلايا الموقف

لذا فهو لا يزال صارخاً بي من محور الأرض:

لا تسكت يا يشعيا هو!

لا. لن أسكت!

وقد كان خليقاً بآله مسن أن يعد دروسه

«عندما تكون في الحادية عشرة فقط، لا تكون كبيراً
حتى تستحق هذا القدر من الهجر. هذا يجعلك تطمس،
تمحى، تنحل، تتبخر تحت وطأته!»
وليم فولكنر- اللصوص - ترجمة خالدة سعيد

كم مرة ينبغي أن تُسبَدَ حشائش سطوحنا المهجورة؟

كم مرة ينبغي أن نُذبح بياقاتنا المنشأة؟

كم مرة ينبغي أن تتفاقم ديدان النسغ؟

حتى نتمكن من مواجهة سنحريب بالحقيقة:

مع السلامة يا صاحب الجلالة

لا نريد أن نبيعك شيئاً!

.....

فولاذي زهرة. زهرتي مسحوقة تحت جنازير الدبابات

«أنت الرحيم وأنا عبد الرحيم
أنت الحكيم وأنا عبد الحكيم
أنت المعطي وأنا عبد المعطي
أنت السلام وأنا عبد السلام
أنت تكيص الفضائل وحدك
أما أنا، فالعبد..
أشوب شوباً ليس لي منه شيء..»

الهي
لماذا
غبتني؟

مرةً أخرى يزورني مدّ الليل ويرتفع حتى الخناق
خيول بيضاء كثيرة تخرج من جسدي
تسهل على التلال الماطرة
وتنطلق عكس الريح
غير عابئة بإشارات الضوء وشرطة المرور..
هذا خيرٌ من لا شيء
وهذا خير من أشياء كثيرة
وهذا خير من القواميس العسكرية النذلة:

طائرة ال - عال = هدف مدني
مصنع أبو زعبل = هدف عسكري
بيارة منهوبة = هدف مدني
سنابل عقربة = هدف عسكري
مستعمرات الجولان = هدف مدني
مطار بيروت = هدف عسكري
مدرسة بحر البقر
دير ياسين = هدف عسكري
كفر قاسم
فاطمة الزهراء = هدف عسكري

تقول لي البصارة، وأن أتحمس فخذها الشهى:
بختك مبخوت

على ورق التوت

تزج بجميع سكان العالم

في جميع وسائط نقل العالم

تخطفها الى جميع أقطار العالم

وتفوز بجائزة نوبل للسلام

وتعيش بالثبات والنبات

وتخلفُ صبياناً وبنات..

يدي تعالج حاملة نهديها العسكريين

وعيناي ضارعتان الى السماء..

الهي

لماذا

تركتني؟

«لا غالب إلا الله!»

في رقّة ملاك

يهبط الكاردينال الوقور، بأطراف أصابعه

على رتبة الجنرال يزمو المبارك
ينهض هذا في جلال قيصر
بغته، تلمح عينا بروتس
عنواناً رئيسياً في صحيفة المساء الكبرى
ينخلع قلبه هلعاً، ويعدل عن فكرته..
وعبر غابات الزيتون الرمادية المسبدة
يعطي قائد الحرس القومي اشارته المعروفة
أنظروا اليه..
أيها الناس أنظروا
ها هو فديريكو غارسيا لوركا
يُحلق عالياً.. «أَلِيه»
عالياً.. «أَلِيه»
الى التراب الذي عطرتة قدما «ماريانا بينيدا»
فديريكو يحلقُ الى التراب
(وتزغرد أُمي
تزغرد دموعها وشالها الأسود)
فديريكو.. أيها الطفل القاتل
يا حبق الشرفات الأندلسية (العائمة في شمس الجليل)

لك أنت قطرة الحليب الأولى على حلمة غرناطة
فانهض من ضريح العشب ودافع عن ابتسامتك
وأنا، لا أريد عندليب شرايينك
أريد الصيحة الأخيرة في موديلات الموت
مع زجاجة «أفتر شيف» ماركة «تباك»
وأريد ابتسامتك

وأريدك أن تأتي في أول طائرة حربية
لتزفني الى حبيبتى المذبوحة تحت السياج
جميلة الجميلات حبيبتى وقدس الأقداس
أقبل عبر هذه الرخامة لتكون أشبين موتى
ومن ثم نسبح عاريين في البحر المتوسط
ونمجد فرسان الجبال المغلوبين على أمرهم!

«لا غالب إلا الله!»

بغته، تلمح عيناى خيراً رئيسياً في «معريب»
أتقياً حزناً وأعدل عن فكرتي..

الأسطول السادس يشطف قفاه في البحر المتوسط
البحر المتوسط بصقة جدي على وجه الجنرال للنبي

والبحر المتوسط قعادة طفل يولد من صُلبي..

«أديوس!».. يا فديكو الطيب الجميل

ها أنذا ذاهب لشأني

ذاهب لأقايض موسم الزيتون

ببندقية واحدة على الأقل!

لا بد لي أيها الاله الطيب

لا بد لي من غرفة أكاشف فيها مواجعي

وأحزان رهائن الحرب.

لتكن مجرد غرفة

عالية أو منخفضة

ضيقة أو فسيحة

المهم أن تكفي لبعض التفكير في القرحة الملحاح

ولميلاد مرثية حاقله بفرغرات صباح مذبوح.

لا بد لي من أربعة جدران وسقف ومصطبة

في مدينة الجبل الساحلي

حيث ترتفع عمارة شركة «صيم» للملاحة

في تعايش سلمي تام
مع أنقاض مسجد مجاور مهان
لم يبق منه سوى مئذنة متصدعة.
تعال معي أيها الاله الطيب
نستأجر غرفة متواضعة في ملكوتك الفخم
الشامل الشرق والغرب وما بينهما.
نقرع الجرس الكهربائي الطازج
المتطفل على منزل الحجر القديم
بأقواسه العربية الحميمة كاءبط أم
تشق الباب المستور بالفورمايكا (الباب فضيحة قديمة)
سيدة أجنبية
لن يجرؤ مخلوق على الزعم
بأنها متناسقة مع الأقواس الحميمة
يهمس لي الروح الفاقع تحت ملاقط الشعر:
«ايجار الغرفة ٢٠٠ ليرة
أنت شاب جميل
ايجار الغرفة ١٥٠ ليرة
لكنني آسفة

لا أستطيع تأجير منزلي للعرب!

ومن هناك

من وهج الصحراء النابضة تحت الشمس وأبراج النفط

من هناك

تتهدج غمغمات الشاعر الحزين

مع الخماسين اللافة:

«لك يا منازل في القلوب منازل

أقفرت منها وهي منك أواهل»

أذهبُ لانتحر تحت عجلات القطار

أمسي دهرًا

أركض أزحف الهث دهورًا

يجيئني من بعيد، صفير القطار الوديع

كزغرودة أُمي ليلة دخلتي يجيء

يدف رف السنونو نحو البحر

وقبل سقوطي على خطي الفولاذ الرحيم

يسقط عليَّ الحاجز الوقائي

ويشطرني شطرين!

لماذا

تركتني؟

ليأتِ الشغف المشبوب في أجساد البشر
لتأتِ حمى الشهوات اللذيذة
لتأتِ مراجل الدم الموعود
تلك الموشكة على تمزيق سرايين الرقاب
ليأتِ الهيجان المد الغضب الصراخ الصناعة الثقيلة
ليأتِ الحب.. لتأتِ الثورة
ليأتِ الأحمر!

وليأتِ أطفال السنابل

والأطفال

والسُّباح المورسة ولتأتِ المراعي
وليأتِ النعناعُ والحبق وطلع الربيع
ولتأتِ مواعيد الخطبة
وشهادات النجاح المدرسي
ولتأتِ اتفاقيات السلام والتعاون

وشهور الوضع، وليأتِ الحُب..

ليأتِ الأخضر!

وليذهب فتور المودات

ولتذهب الخيانة والحسد والنميمة

وليذهب سوء التفاهم والافتئات

والشكوك والقلق والخطر والضعفينة

ليذهب البنفسج!

وليرفق بي هذا اللاوضوح

ليرفق بي هذا الزئبق

هذا السمك الحي الزلق

ليرفق بي هذا الليلك..

أيها الليلك المائج المتكثف المتلاشي

رأفة بعنفواني المهدور في شقوق العالم

حدث كل ذلك في الموعد المحدد بالضبط

فحين خرج السيد قايين للصيد في الغابة القريبة

لم يُحسن التصويب كما يليق بصياد ماهر.

فسقط أسد شاب (لم يكن شبلاً ساذجاً)

بعد أن أصيب بجراح طفيفة نُقل على أثرها الى المستشفى
وهرعت الشرطة لمباشرة التحقيق.

ويضيف مراسلنا العسكري

ان الأسد الجريح صرّح لوكالات الأنباء بما يلي:
«المسألة بسيطة لا تتجاوز الموت العابر»

وقال وهو يتحسس ضماده:

«على أية حال فسأفترس السيد قاين في المرة القادمة
ما لم يحسن تسديد الضربة القاضية!»

وانصرف المدعوون

بعد أن تبادلوا السجائر الأمريكية الفاخرة
والعناوين وأرقام التلفون..

حدث كل ذلك في الوقت المحدد بالانبط
وما زلتُ أنا مطروحاً على بساط البحث

كحجر على رقعة شطرنج..

ومنذا يسمع صرختي

منذا يسمع صرخةً

منذا يسمع

الهي

الهي

لماذا

قتلتني؟

اللهم لا أطلبُ قلبك

كفّ عني يدك

لا ثوابك ولا عقابك

لا يُسرك ولا عُسرك

أرتجتَ عدلك لغزا

وجعلت القسمة ضوؤى

سيم سقرا

فانبرى

ما عليه اذا كفر

أفتماريه في ما يرى؟

صدق الموت العظيم..

ثالث أكسيد الكربون

تهريف بثالث أكسيد الكربون

لما كانت مراجع الكيمياء والفيزياء وكل مدبجات العلم، عاجزة عن اسعافكم في أمر «ثالث أكسيد الكربون» فقد أخذت على عاتقي - وهذا واجبي الشخصي - أن أعرفكم بهذه المادة.

زعم العلماء أننا حين نزفر فإننا ننثفث مادة تدعي ثاني أكسيد الكربون. لقد دلت هؤلاء الفاضلون على نظريتهم مستعينين بالمختبرات الحافلة المهيبة، بيد أن أبحاثي الخاصة في المختبر الأعظم أوصلتني الى حصيلة جديدة:

إن المادة التي نزفرها أكثر تعقيداً وتركيباً من «ثاني أكسيد الكربون» فهي تشتمل على عنصر سايكولوجي هو من العناصر المكوّنة لما تعارفنا على تسميته بالروح.

إننا نظلم انسانيّتنا ظلماً فاضحاً حين نتجاهل مادة الروح التي ننفثها مع زفيرنا آلاف المرات في اليوم الواحد من أعمارنا لا سيما في إمبراطورية صهيون الفتية. مادة الروح هذه مكونة من عناصر الحزن والفرح والتشوف والقلق والنصر والهزيمة وهلمجراً.. وهي تؤثر في أجسادنا تأثيراً مادياً، ونحن ننفثها مع زفيرنا آلاف المرات في اليوم الواحد من أعمارنا..

هكذا نرى أن «ثاني أكسيد الكربون» ليس سوى جزء من المادة التي نزفرها.. أما المادة الكاملة التي ننفثها آلاف المرات في اليوم الواحد من أعمارنا فهي مادة «ثالث أكسيد الكربون» وللبيان حرر.

سيرة بريطافور

في البدء سيخرج الأطفال وقد عبأوا جيوبهم بالحلوى
سيتسللون الى معسكر الدبابات والمجنزرات
سيدسّون قطع الحلوى في صهاريج الوقود
سيكتشفهم الجنود سيفتحون عليهم نيران رشاشاتهم
سيسقط الأطفال صرخات مكتومة لكنها ساخرة
ستتحلل أجسادهم الصغيرة في رمال الصحراء
ستنضج السنابل ستلألأ كواكب التفاح والكواكب
ستفتح المدن الصناعية، المزارع الجماعية
سيولد الأطفال وأطفالهم
أما أنت يا بريطافور فلن تغفر لك.

بريطافور أيها الديناصور القاتل لن نغفر لك
دمنا لن يجف...

فرح دهورك تزلزله لحظة من حزننا
وما أشد شماتتنا بك يا بريطافور
أيها الديناصور الغارب مع أمبراطوريتك الغاربة
شمسنا تشرق كل يوم، يا بريطافور المجؤوف
لن تقوى على النظر الى شمسنا لأن دمنا قطرة أولى
ويتبعها نهر الأسى الدم الضوء.

كانت هناك طفولة أخرى وانجذابات آخر
كان السيف العربي مستلقياً بين البحر والصحراء
عاقداً راحتيه تحت رأسه
كان مكشوفاً تماماً للصواعق والشموس والدوامات الرملية
أما الصدا فظل مستحيلاً
ذلك أن المحارب القليل لم يجد من يسبل له جفنيه
ظنته الوحوش والصدا والهوام يقظاً فتململت وتحلقت حوله
وجارت وصاءت مشحونة بالهلع...
غب الليالي الحالكة الطويلة جرؤت الضواري والجوارح

على اقتحام الفارس المسجى
نالت الحشرات والهوام والعوادي نتفاً من أطرافه الميتة
تفجرت ومضات من الدم الكامن
ارتعدت الدواب المفترسات فرقاً
تقهقرت الى مراتبها
كان الدم متربصاً في طبقات الوعي الدنيا
متمللاً في أغوار الصحراء
وكما تدفق الدم من أبراج البترول الفارعة في الهجير كالنخيل
والمآذن... تدفق من فوهات البنادق...
وكنت أنت هناك يا بريطافور...
يا ديناصور الزمن اللعين...

عذارى يافا وعكا يتردّن في زبد البحر الأبيض المتوسط
في أمواجه القريبة
تتنفّض السُميكات بين أقدامهن المتنفضة
تتمسّح الطحالب والأصداف بالأظافر الناصعة الصغيرة
وفي دغل القصب القريب، يزفر العاشق الأبدي
أحلامه المشتعلة

عبر ثقوب شبابته البيسانية
ترتعش البيارات وكروم الزيتون بحمى الشهوة الفتية
أيها النسيم المشبع ببهار الصحراء الحاد
ترث قليلاً أيها النسيم
أترك للعاشق أسرارده وللوردة نحلتهما
واحمل للعالم صرخات العذارى اليافويات والعكيات
إنهن يصرخن رعباً مما ترى أعينهن الوسيعات:
من أعماق البحر جلجل هزيم عظيم
تصدعت الأمواج فجأة عن أنياب سوداء هائلة
كل ناب في حجم ثلاث مآذن
لم يكن بلال شامخاً هناك
ولم يكن الله أكبر
كان هناك غزاة مدججون باللؤم
والفوهات مسددة الى أفواه العذارى وعيونهن الوسيعات
الشاملات خليج العقبة ورأس الناقورة.
النوارس الذليلة تستعطي جميع السفن في البحار جميعاً
أما عذارى يافا وعكا
فاتنات الساحل والفتاتات الجليليات

فقد زغردن رعباً وانتخاءاً
وزغرد رصاص الأعداء ممزقاً الأفواه الجميلة
المشرفة لتوها، على القُبل والابتسامات
وكنْتَ أنت هناك يا بريطافور القاتل
كنت هناك بالسلندر والخوذة الحربية
كنت هناك بالحقائب الدبلوماسية
وأطقم الأسنان الاصطناعية اللامعة
أنت هناك بخرائط المنشآت العسكرية والهجوم والانسحاب
والهجوم ومصافي البترول
كنت هناك بالطرادات المثقلة بالذخائر...
وأمرض الجنس والويسكي...
أنت هناك يا بريطافور، وكانت الأغنية:

عمعارك فلسطين	«سجل يا قرن العشرين
بين العسكر والثوار	عللي جرى وعللي صار
من عكا قبل العصر	طلعت كلاب الأثر
والرامة وشعب والمغار	على يركا والمكر
بنادق، وغيونن جمر	وزنود الشباب السمر

والبيارق بيض وخضر وسود وحمرة ونار
وسجل يا قرن العشرين عمعارك فلسطين
عللي جرى وعللي صار بين العسكر والتوار»

و كنت هناك يا بريطافور
كنت هناك بكلايك ومصفحاتك...

ننطُ كالسعادين حول العساكر الشقر
نستجدي بسكوتاً انجليزياً...
ولما زعقتُ صفارة الانذار ونوحت
إيذاناً بالغارة النازية المسائية
صدرت أوامر الجنرال السير جون هاوارد بتش
وانطلقت رشاشات ستينغن وتوميفن
لحظر التجول وحفظ النظام..
مع رعشات أزهار البرقوق البرية
كانت طيارة الورق عائمة في أثير الساحل الغربي
أو لعله بالون برتقالي
ينقفه نحو الله، طفل من مدينة إسمها حيفا

أو لعلها انفراجة رُعب على وجه جثة

أو لعلها الشمس

كل ما في الأمر، أنها هناك رغم كل شيء

وحين عادت السنونوة من رحلتها الشتائية

كانت مرهقة للغاية...

قالت السنونوة للوطن: هل من سقف ألوذُ به؟

وأعطاهما الوطن برجاً لتكرير البترول.

واشتهت السنونوة أن تروي حكايات غربتها

لكنها لم تتقن الانجليزية

فأصابها دوار شديد

ثم هوت إلى البحر جثة هامدة

ولعلها هي الشمس التي هناك

رغم كل شيء.

حين عاد جدي من حقل الزيتون

وجدنا سنونوة تلوذ بعباءته

- إحكِ لنا يا جدي، ماذا حل بالست بدور؟

- إيه يا صغاري.. ليس الوضع على ما يرام

إن وحشاً رهيباً يوشك على افتراس الست بدور

إنه بریطافور اللعين
ملك القراصنة وسيد البحار.
كان بریطافور فتىً جميلاً يصطاد الأسماك
على سواحل جزيرة شمالية يغطيها الثلج والضباب
كاللبنه الناصعة على رغيفٍ ساخن
ذات يوم اصطاد بریطافور سمكة ميكانيكية جميلة
قالت السمكة الميكانيكية: احتفظ بي جيداً أجعلك موسراً!
وغابت الشمس على بریطافور دون أن يعود الى كوخ والديه
وخشي السير في الليل المزدحم
بالحيتان الميكانيكية وأشباح الموتى
فأثر النوم في كهف صخري صغير على شاطئ المحيط
وبينما كان نائماً أبصرت به ربة الظلام والكوابيس
ففتنت بجماله وفتوته النابضة كبركان
واستنجدت بكل الآلهة لتجعل بریطافور من أتباعها وأزواجها
وسيطرت ربة الظلام والكوابيس على بریطافور
ونفخت في أذنيه وهو نائم
فأمسح واحتقنت روحه بالأحلام الشريرة وشهوة البطش
وحين أفاق من نومه كان قد أخصب بالربة القاتلة

وأولدها «بنسون» الرهيب..

«بنسون» نسل بریطافور ورفيق رحلته الى بلادنا..

لم يحلم «بنسون» إلا بأن يشاطر والده مملكته الرهيبه

حتى يشتد ساعده فيقوى على أبيه وينفرد بصولجانه الدامي

المصنوع من هيكل عظمي لأفعى هندية ماردة!

شعوب كثيرة سحقها بریطافور

وفي خماره الحضيض

ثمل بنبيذ سرايينها

وظلت شهوته عارمة عاتية

ظلت شهوته مكتظة بأفاعي الخماسين

والمستنقعات الراكدة السامة

أما «بنسون» فقد انتهى أن يرث أباه

في كل الشعوب، وفي شعب آخر.

ذات يوم..

كان الله يقود مركبته الملكية في جولة تفقدية

ليعد لنفسه تقريراً عن مدى فعالية الغارات الجوية

وحين انحنى فوق فلسطين

انفلت إحدى عجلات مركبته

وانطلقت تندحرج وحيدة نحو شفير الارض
هاربة من سيدها الى الاقمار البعيدة
تلك كانت.. الشمس الغاربة.

آنذاك هبط بريطافور وبنيون الى الشاطئ الغربى
تقدما بخطى راعدة نحو الست بدور
كانت ترتجف هلعاً ولوعة
بين جثث لداتها من عذارى ياف وعك
قهقهه بريطافور:

«ستكونين لي أيتها الجميلة!»
وهمهم، بين ساقيه العملاقين، ولد الخبيث بنيون:
«ثم تكونين لي من بعده»
وسمعه بريطافور فزجره مُعنفًا:
«كيف تجرؤ أيها الولد العاق؟!»
فتمسح به بنيون الخبيث:
«لا بأس يا أبى وسيدي

هى لك متى تشاء

فأى جناحٍ عليّ إذا اشتهيتها لنفسي أيضاً..

أَلَسْتُ ابْنُكَ الْبَارِ يَا بَرِيطافور الْعَظِيمُ؟»
- «بلى، بلى، ولدي أنت ونصيري يوم لا نصير
وستكون هذه الحسناء طوع بنانك
يوم تصدف عنها نفسي
على أن تكونا معاً طوع بناني هذه!»
- «بنانك يا أبي، مشجب لجبة الله!»
- «بل هي مشجب الشيطان، وأنت عليم بذلك!»
- «بل هي مشجب الله والشيطان!..»

قهقهه بَرِيطافور وبنِيون فرحاً
وسحبوا الست بدور من شعرها الأسود الطويل
زاحفين بها نحو السهول والقمم البعيدة
المدن والقرى الآهلة الآمنة
تنهار تحت قدمي بَرِيطافور الرهيب
وبنِيون الخبيث يكدس الغنائم
في كيس عظيم قَدْ من جلود الآدميين

انتحبت الست بدور وأغرِبتُ في النحيب

حتى ذاب كحل عينيها الشهاوين في دموعها الغزيرة
وانتشرت الدُموع السوداء على التلال والسفوح
ورثت الآلهة الطيبة لعذاب الست بدور
فجعلت دموعها السوداء ثماراً أبدية لشجرة الزيتون
أما الآلهة الشريرة
فكانت تطلق الرقى والتعازيم
لحماية بريطافور ونسله بنيون.

ألسّت بدور.. معبودة فرسان الجبل وحلمهم الكبير
ألسّت بدور تتمرغ في دمها تحت قدمي بريطافور
فليُسبَد العُشب على طرقات العالم
ولترتطم الصواعق بالمطارات والموانئ
ولترجع الأمطار والرياح حساباتها القديمة..
وأنت أيتها الشمس
أيتها العجلة الهاربة من مركبة الله
إهدني قليلاً وانظري الى الوراء..
ملايين الأيدي مشدودة نحوك
ألا ترين أغصان الزيتون هذه؟

إنها أيدينا.. أيدينا القديمة المبتورة
وكلها مشدودة نحوك!

لا عليك أيتها الشمس!
سيان تريثت أم واصلت الرحيل
فها هم فرسان الجبال وحراس السهول الضامرة
ها هم يخرجون لمنازلة بريطافور الرهيب
بحقائقهم ومناجلهم وأهازيجهم.
وأمام صرخاتهم المتفجرة كصهاريج مضغوطة
أمام زحفهم الذي يطوي حصيرة الأرض
أمام سواعدهم الفؤوس المستقتلة
سيرحل بريطافور اللعين
وستبقى الأغنية:

«سجل يا قرن العشرين
عللي جرى وعللي صار
عمعارك فلسطين
بين العسكر والثوار

السيرة بنـيون

بَعْدَ عَشْرِينَ قَرْنًا وَقَرْنَ
وَضَعْتُ طِفْلَهَا «سَارَةً» الطَّيْبَةَ!
وَبَلَا دَعْوَةً، وَبَلَا مَوْعِدٍ سَابِقٍ
طَافَ بِالْبَيْتِ سِرْبُ الْمَلَائِكَةِ الْمَعْدِنِي
- «كَيْفَ نَدَعُو الصَّبِيَّ؟»
- «كَيْفَ نَدَعُوهُ؟ نَدَعُوهُ «بَنِيُونَ»!»
وَانْفَجَرَتْ قُنْبُلُهُ
وَعَلَى رَاحَةِ الْحَاصِدِ احْتَرَقَتْ سُنْبُلُهُ..

- وَضَعْتُ سَارَةً طِفْلَهَا
فَلَمَّا ذَا إِذْنٌ لَمْ تَعُدْ طَيِّبَهُ؟

ولماذا إذن ضاقت الأرض عن رَحْبِها؟

سألت «هاجر» وهي ترنو إلى ربّها.

غير أن سُعاة البريد

- وبأمر الوليد -

لا يؤدون خِدْمَاتِهِم بين عسفِ الأله وضعف البشر

ولذا، لا مفر

هاجرت «هاجر»

وعلى مفرق الموت والذاكره

سألت «هاجر» المتعبه .

- أين؟ أين؟

وأجاب الصدى مرتين:

«أين؟ أين؟»

لثّة الطفل غارقة في حليب الفجيعة

فجأة، دفع الثدي عن شفّتيه وصاح:

- أرجعوا لي الوديعه!

- الوديعه؟!!

- بعد عشرين قرناً وقرناً؟!!

قلق القوم واحتكموا.. لم يكن من مفر، إذن

أنت يا «بريطافور» الحكم!
بين نارٍ ودمٍ..

شكّلوا لجنةً سِفرُ أحكامها النفط والسوط والقاذفه
ولذا أشهرت خوفها الأمة الخائفه
فلوى شدقه «بريطافور» الكريه
ثم صاح:

- قبل أن يستفيق الصباح
نمنح الطفل - مولودنا - طقم أسنانه!
وليكن طفلنا قوةً ضاربه
فعسى أن يردّ لنا شمسنا الغاربه!

هلعتُ طفلةٌ لا تجيدُ القتال
وعلى حرجٍ أطلقتُ صرخةً.. بعضها للألم
والذي ظلّ: نارٌ ودمٌ!
آه آه..

آه معتصماه!

وتناخى الرجالُ وماتَ الرجالُ
فلتشدَّ الرِّحالُ
طفلةٌ لا تجيد القتالَ !

قهقهَ الطفلُ «بنبون» في مهده العسكريِّ الحزين
ثمَّ صاح بضباطه الظافرين:
هكذا.. فكرةٌ بعد فكره
هكذا.. ذرةٌ بعد ذره
فتشوا كل بذره
راقبوا الميتين
وأعدّوا جهازَ التقاطٍ لتسجيل حلم الجنين
واضبطوا كلَّ صخره
وادرسوا كل زهره
وانصبوها كميناً!
مات زرعٌ كثيرٌ وضرعٌ كثيرٌ
ثم كان
في بقايا الزمان
أن زيتونةً نهضت غاضبه

وعلى آلهِ كاتبه
سجلت كل أسرارها والنهار الذي تشتهيه
سجلت إسمَ قاتلها وأباطيله
فندت كل ما يدعيه..

ثم كان
في بقايا المكان
عقدوا الجلسة الطارئة
كان ثلث الوفود نعالاً ملمعة تستريح على مقعد في حدقه
كان ثلث الوفود بغايا يُقعن بالروح والقهقهات
سختيان الذقون الحليقه
كان ثلث الوفود رجال المطافيء
واستعدت مطاراتهم والموانئ
استعدت ببعض المراثي وبعض الطحين
ثم ذروا رماد الحقيقه
في الجحور العيون
ورماد الحقيقه
طفلة لا تُجيد القتال !

بعد حين

- رحم الله أجدادكم -

صاح صيحته فارسُ الدم والياسمين:

«هاجر» المتعبه

سئمت في المنافي ولائها المرعبه

سئمت غوث جبريل والمافيا..

وأضافت وكالاتُ أنبائنا:

أصبحت «زمزم» بئرِ نَفْطٍ.. «وينيون» غرثان مستكلبٌ

إيه يا «هاجر» انتظري طائر الرعد والأخوة الباسلين

إيه، وانتظري طفلة تتقن الموت والبعث

عنقاء من دير ياسين، من عين جالوت، من ميسلون

طالما انتظرت.. طالما سئمت الانتظار

وقبيل النهار

أسرجت خصرها للفتى «إسماعيل»

ومضت في الطريق الطويل..

إنها في الطريق الى بيتها

في الطريق.. وما من دليل

غير دم القتييل؛

صاح «بنبون» من مهده العسكري:

- لن تعود!

- «هاجر» احترقت.. مرة.. مرتين!

- ولغمنا الحدود!

صاح «بنبون» من مهده «لن تعود!»

واستعد الجنود..

.. جولة ثانية

.. جولة ثالثة

كان لا بد من جولة رابعة

كان لا بد،

لم تنكص الريح عن طلع زيتونة الذاكره

فلتحوم اذن ولتدوم نسور الدم الكافره..

ها هيا «هاجر» ها هيا

سئمت غوث جبريل والمافيا

ها هيا

إنها في الطريق الى بيتها...

وعلى تلة من تهامه

أبصرت موكبَ العائدين
طائرات التجسس U.2 - الحمامه
وعلى تلة من زجاج حزين
عقدوا الجلسة الطارئة..
لجَّ «بنيون»: (فلتصليوها! اصليوا «هاجر» الخاطئة!)
غير أن الرياح جرت مثلما تشتهي سُفن الشمس والمُبصرين
وانقضت شُربة الغاصبين..
كان ثلث الوفود أكفأً تلاطم مخرز أعدائها
كان ثلث الوفود وجوهاً ترمم بالنار والنور أطلال سيمائها
كان ثلث الوفود رجال المطافئ..
والفتى «إسماعيل»
يبذر النار والنور في عتمة المستحيل
ويصولُ بسيف العذاب القديم على كل شانيء
منشداً لرفات القتيل:

بين انفجارٍ وآخرٍ
يرف صوتي عليك
ويومَ ترجعُ «هاجر»
امي - أعود إليك

وبين ليلٍ وليلٍ
وعد فُصير الغفوة
لا سترِ يخ بظلي
على هنائس رهود
ويوم ترجع «هاجر»
أمي - أعود إليك!

الرياحُ جرت

والرياح جرت مثلما تشتهي سُفن الشمس والمبصرين
وانقضت، إنقضت شربة الغاصبين
فأخرج الآن «بنيون»! وجهاً لوجه
تنفض طير الصباح .. استوى السمت والسمت..
والدك الشيخ منكفيء غابت الشمس عن ملكه..
طالما أقعم الحالين بخبز وورد..
وها هوذا، أقعم اليوم..
فأخرج إذن..

أخرج الآن، «بنينون» وجهاً لوجه!!..
عندما جاءه نبأ الشمس والنبع والعاصفه..
كان «بنينون» ما زال في مهده العسكري..

شَابَ طفل الدناصور في مهده..
طقم أسنانه المعدني..
- آه ياليل ياعين - لم يُجده!..
ويُضيف الرواة
أن «بنين» لم يعترف بطقوس الحياة
ويُضيف الرواة:
سأه أن يرى «هاجر» العائده
عبر أحلامه البائده
فانتضى سيف والده بریطافور
ومع الفجر، أغمده في دجى صدره
مطلقاً صرخة مارده
وارتمى.. جثة هامده!

سيرة جليات

وبعد أربعين يوم

ظلّ هناك واقفاً

ساقاه تخلتان

وفوق رأسه الجميل

كوفيّة صارت تُسمّى الغيم

واخترقتُ قامته أرتالُ دبابات

واخترقت جبينه أسراب طيارات

لكنه ظلّ هناك واقفاً

وصاح:

عن أيِّ مقلّاعٍ تُشرثرون؟
وأيِّ قِزَمٍ خائرِ العزمِ تُمجّدون؟
يا أيها الغزاة

منذا الذي قد مات؟
ها أنذا حيّ أنا حيّ أنا جليات!
حيّ أنا يا أيها الغزاة..

وبعد إذ جلبلتُ في كمائن الأعداء
صيحةُ الحياة والمقاومة التي أطلقها
التفت جليات الى رفاقه في السلاح وقال:
«كل عرار الأرض في هذا الدم المهرق
وكم عشية لنا

بين أصيل الدم والسّحر

فليسخر القدر

يا أيها الرفاق

وليسخر القدر،

عَمّا قريبٍ يهطل المطر..»

آنذاك

كان نداء حبيبته قد قطع الجبال والصحاري والمحيطات
وارتطم النداء الحار بجبين جليات
كعصفور يرتطم بزجاج سيارةٍ مسرعه
فزفرت أعماقه البركانيّة:
قبل أن أراك يا حبيبتي
أكون قد عانقتك،
قبل أن أعانقك يا حبيبتي
أكون قد قبّلتك
قبل أن أقبلك يا حبيبتي
نكون قد تكاثرنا!

أربعين قرناً بلياليها
ظلّ جليات واقفاً هناك
بينما كان بريطافور وبنّيون يحشدان لقهره.

لم يسند ظهر جليات سوى قومه والغراب الطيّب المسالم
وزهور البرية والغزلان والينابيع

أما بریطافور وبنیون فقد التفتُ من حولهما شعوب كثيرة
وكانت في معسكرهما الحمامة الحاقدة
الخنزیر البریة
والذئاب والثعالب.

ذات يوم شعر جلیات بجوعٍ شدید
وكان حصار الأعداء محکماً
فأنقض علیهم وأمسکت قبضتاه بخنزیرین بریین
سَفَدَ الخنزیرین ببرقَة هائلة
شواهما علی الشمس
وأطعَمنا وأكل

ولما رأى الأعداء ما فعله جلیات
أخذ الرُّعب بجوارحهم..
سمعنا اصطكاك عظامهم تحت جلودهم
فحزنا علیهم حُزناً شدیداً.
ذات يوم، قالت له زوجته:
قم يا جلیات وانزل الى السوق واشترِ لنا خُضاراً..
فقام جلیات وحمل سلتَه ونزل الى السوق
كان في السوق خضار كثيرة

فأشترى جليات سبعاً وعشرين قنبلة يدوية من طراز مللز
وأشترى سبعة وعشرين لغماً مضاداً للآليات
وأشترى سبعاً وعشرين عبوة ناسفة..
طبخت زوجه طعاماً شهياً
فأكلنا ثم شربنا من نهر الاردن دماً زلالاً.

ذات يوم، وفي غمرة المعركة
أصيب جليات بجرح خطير
وحين تكمشت أصابعه المتشنجة
على حفنة من التراب والحصى
سمع صوتاً ناغراً مع الدم:
أطبق العشقُ عليَّ
ومحاني في يديه

ثم أعطاني يديَّ
ثم أطبقت عليه..

وقالت حفنة التراب والحصى:
- لا تستحضر الحقيقة يا جليات

إجهر، فقط، إجهر
بأحلامك وكوابيسك
وستنتشر الحقيقة كغبار الطلع
مع الرياح وأشعة الشمس..
آنذاك انفجر جليات مغنياً:
أنا الدولة العظمى
من لا يصدقني فليرجمني بصواريخه الذرية
سألتقطها واحداً واحداً
وأعيدّها إلى قواعدها سالمة
محزومة بشريط من الحرير الشامي.
ومن ثم، أقعد على سطح الأمم المتحدة مغنياً:
أنا الدولة العظمى
أنا.. الدولة.. العظمى!

في ساعات الليل المتأخرة
فتح جليات صفحة جديدة ودون في يومياته:
«دفعت لسائق التاكسي بخشيشه كاملاً
ثم وهبته الأجرة وطرحت تحية المساء

كنت أريد شيئاً واضحاً ومحدداً
أريد صعود الدرج إلى غرفة نومي
حين صعدت الدرجة الأولى
فوجئت بالطقس الغريب
جابهتني الحقيقة كاملة
ها أنذا على كوكب آخر، ولا غرفة لنومي
ليس هو القمر ولا بلوتو
لكنه كوكب آخر بالتأكيد
لا بدّ لي من صعود الدرجة التالية
إلى غرفة نومي
إنني متعب يا حبيبتني
وأشتهي أن أنام!

في ساعات الصباح الباكرة
فتح جليات صفحة جديدة
ودوّن في يومياته:
صحّ النوم!
يستقيظ العالم على صرخاتي

وأنا أهرُّ الشمس من كتفيها:
«أيتها المجنونة! كيف جرّوت؟»
ينفعل العالم أو لا ينفعل
لكنه يردد مثل كورس إغريقي:
«أيتها المجنونة! كيف جرّوت؟»
على ألحان الباسادوبلي
المفعمة بالعطر الساخن
أمسك أطلس المدجن من قرنيه
وبقدمي الصغيرة المتألّمة بصمت
في حذاءها الصيني
أركل الكرة الأرضيّة
من طرف الملعب الى طرفه
ينفعل العالم أو لا ينفعل
لكنه يهتف لي مثل كورس إغريقي:
«جو..و..ل!»

كان جليات يقضم تفاحة موته اللذيذة
ويقذف الثعالب بحجارة إيمانه

غير أن وحوش البرية
شدت هجومها عليه وأحكمت وثاقه
ومن ساحة السجن الصغيرة كتب الى حبيبته:
جسدي أسرع من صوتي
تلك هي المشكلة الصعبة
لكني أصنع من أكبر قبّه
أصغر حبّه
مستبقاً موتي
فتهون المشكلة الصعبة!

وحدّث جليات رفيقه السجين فقال:
في اليوبيل الفضي لموتي
وجدتني منطلقاً كالسهم
من الأرض الصوانية
الى الغصن العالي
الى التفاحة الأخيرة
لم يكن لي بد من ذلك
فالتفاحة لم تسقط

والجاذبية شديدة يا رفيقي!
في اليوبيل الفضي لموتي
كان عليّ أن أغتسل
وإذا بي أخرج من حمام الدم صائحاً:
«وجدتني! وجدتني!»

كان أن التقى جليات بامرئ القيس في بادية الشام
أوقفه غاضباً وصاح به:
«لمن أنت ملتجئ يا امرأ القيس
هل تستجير بنار الأجانب؟
أقصر لعنت،
ورمضاء أهلك بردٌ عليك انتبه
يا امرأ القيس
ما من مجير سواي، وإنّي مُجيرُك
فهيأ نُحكّم هذا البعير
ترجل وأرخِ الرسان، وسوف ترى،
يستدير على عقبه إلى حينّا
يستدير بعيرُك

وإني مُجبرك!»

كان جليات يقضم تفاحة موته اللذيذة

ويقذف الثعالب بحجارة إيمانه

بيد أن وحوش البريه

شدت هجومها عليه وأحكمت وثاقه

وفي غرفة التحقيق

جرى حوار قاسٍ بين جليات وضابط المخابرات:

قال ضابط المخابرات:

- هل أكلت أمس؟

ردّ جليات:

- تسليتُ بدمي!

قال ضابط المخابرات:

- هل بكيت اليوم؟

ردّ جليات:

- تسليتُم بدمي!

قال ضابط المخابرات:

- هل ستضحك غداً؟

ردّ جليات:

- لن أترككم تتسلون بدمكم

سأعلمكم تحويل الملاجىء الحربيّة الى نواذٍ ليليّه!

وسأعزف على قيثارتي حتى تنهدم جميع أسوار العالم!

وسأردُّ للحب اعتباره!

قال ضابط المخابرات:

- لن أطلق سراحك!

ردّ جليات:

- لن تطلق سراحي لأنك لن تعتقلني..

أنا الحرية!!

ومن القدس

كتب جليات الى رفاقه:

أقيمُ هنا

مع النخبة الممتازة من الأحزان

مع نشرات الأخبار

والقوائم الجديدة بأسماء الشهداء

أقيمُ هنا

مع الهواء المختنق بالغازات السامة

لكنني أشجعه.

صبراً أيها الهواء
صبراً يا رفيقي وابن جلدتي
إرفع عينيك قليلاً وستراهم على حقيقتهم
ملوك صهيون والعجم والروم
يتسكعون حول مائدتي
ويرتجفون هلعاً قبالة مشاعلي
إرفع عينيك أيها الهواء السجين
وسترى إبطي
قنطرةً للشمس والمجموعة الشمسية
صبراً أيها الهواء الحميم الذي يفهم لغتي
ستقبل علينا الشعوب فأحمل صرختي
تعالى الى قلبي أيتها الشعوب
قلبي هذا المكتنز بالحب مثل رمانه
قلبي هذا المقيم على أسوار القدس
مع النخبة الممتازة من الأحرار!

ثم كانت الحرب الكونية الأخيرة!
على سلم من أقفاص صدور القتلى

تسلق جليات جدران الأمم المتحدة
على السطح المبقع بزيوت الهليكوبتر وسلح الطيور
وقف جليات عارياً

والى جانبه صندوق كوكاكولا
ثم حفر بئراً للنفط

وسرعان ما أصبحت زجاجات الكوكاكولا الفارغة
زجاجات مولوتوف محكمة الصنع.

تجمعت وفود العالم حول برج الزجاج
اكتمل الجزر وانفضحت عوراتهم تماماً
أطلقت القدس كلمة السر

وانهال جليات على المندوبين بقنابله
(القنبلة الأولى)

سقطت أعضاؤهم التناسليّة
(القنبلة الثانية)

تطايرت كلسونات نسائهم
(القنبلة الثالثة)

اجتاحت أرحامهن تيارات الرياح والأنهار
وارتعشن بلذة الخلق...

كان الموت وكانت الولادة
وكان نسل لا يعرف القنابل..
ثم صاح جليات بوفود الأرض:
اليوم أكملتُ لكم دينكم
أما القنبلة الأخيرة، فلي
لي أنا المتماسك بصمغ اللهفة
أنا المتماسك
على انفجارات لا تُحصى!..
(ثم كان لجليات نسلٌ لا يعرف القنابل!
وكان للعالم نسل لا يعرف القنابل!)

الطـحـراء

(إلى أخي الكبير أحمد بن بلا، ذكرى لقاء الغربة بالغربة في حضرة الشهيد
الحبيب، الظاهر الخفي، أبي ذر الغفاري)

هدوءاً

سيكتملُ البدرُ عمّا قريبٍ

سيدنو رهيباً بطيئاً

سأصرخُ رُعباً

وأمسحُ دُنياً

هدوءاً

على سُنَّةِ الله واللاتِ والأنبياء
تدبُّ العقاربُ

منتصف الليل
تسقطُ في الشَّرِكِ الليلكي القواربُ
يهرع سكان ضاحية الموت
صوب رنين النواقيس
تنفجرُ الصرخاتُ الرهيبةُ:
«زلزلت الأرضُ زلزالها»

«ساعة الصفر»

«يا جلبة الحشر»

«قايين»

«قايين»

«قايين»

تكتشفُ الروحُ أهوالها!

هدوءاً

يجيءُ عواء الذئاب البعيدة
غمغمةً في الضباب الثقيل

ويندلعُ البدرُ
يبهرُ عينيَّ
يعلو ويصخبُ في غابة الروح
قرعُ الطبولِ
وأصرخُ رُعباً
وأمسحُ دُنياً..

إليَّ يا كسيركِ المرَّ
لم يبقَ في حقِّ كاهنك الميتِ
غير انكسارِ الأشعةِ
بين زجاجِ التعلُّلِ
والشفةِ اليابسه
إليَّ يا كسيركِ المرَّ
هذا أوانُ انتشاري
على ضُمرةِ الموتِ
هذا أوانُ اقتداري
عليهم

وهذا أوانُ انتصاري

عليّ
أنا فارسُ الأملِ المشرقيّ
أرفعي حُجبَ الغيبِ
هيا انهضي
وامنحيني أمامَ السماواتِ والأرضِ
جرعتك البائسه!

تعبتُ حبيبةَ روعي
وأَتعبَ مهديَ ضريحي
ولا النارُ ناري
ولا الريحُ ريحي
تعبتُ

وبيني وبينَ التقاويمِ نهران
نهرُ الدموعِ
ونهرُ الدماءِ

وبيني وبينَ الدموعِ
وجوهُ من الشمعِ والزعفرانِ
وبيني وبينَ الدماءِ الزمانِ

وما من مكانٍ

أما من مكان؟

وبيني وبينني

تدوخُ الحرائقُ

في رقصةِ الريح

يعتمر العازفون السكارى بأحزانهم

خوذَ الحربِ

يا امرأةَ الدمِ والدمعِ

هذا زفافك

(يزعجُ جيراننا الليلةَ الفرحُ المشرقي

فمن بعض عاداتنا

أنا نطلق النار في العرسِ

تنذرُ أبناءنا الزرقَ للقدسِ

من عادةِ الأنبياءِ

اكتناهُ النجومِ

ومن عادةِ الشهداءِ

الوجومِ..

ولسنا سوى بشرٍ

من ترابٍ ودمعٍ
نزغردُ مثل المجانين
نبكي ونرقصُ
نبكي ونرقصُ
لو صاحت امرأةٌ تستغيث
لصحنا «عليهم!»
ونجهلُ مَنْ هم
وصحنا «عليهم»
ونعرفُ مَنْ هم..)

لماذا استغثتِ
لماذا استغثتِ
وعُرسكِ في عزِّه
والرجالُ سكارى
لماذا استغثتِ
ورجالاً عريسكِ في لجن الماءِ
بدلتُهُ فوق مشجبها بعدُ
قولي،

لماذا استغثت؟

تري، راعك البدرُ

أنذرك الخضرُ

قولي،

لماذا تناثرت من أول العاصفة

مخلفةً في فضاء الفجيعة

أصداء متممة واجفة؟

لك المجدُ

سيِّدة القحطِ

كيف افتقرنا

لك المجدُ

سيِّدة النفطِ

كيف اغتنيينا.

وأنسى وأذكرُ كيف ابتدأنا

وأنسى وأذكرُ

أين انتهينا!

تَحَارُّ الْمَلَائِكَةُ
مَا بَيْنَ سُرِّكَ، طَوْرًا،
وَسِرِّ الْبَحَارِ (الْقَصِيَّةِ فِي قُرْبِهَا)
تَحَارُّ الْمَلَائِكَةُ فِيكَ
وَفِي حُبِّهَا
وَفِي رُغْبِهَا
وَتَحْفَى الْمَلَائِكَةُ، تَعْرِى، تَجُوعُ
وَقَلْبِي يَجُوعُ
وَرُوحِي يَجُوعُ
أَلَا فَاغْسِلِي بَدَنِي
وَاعْسِلِي كَفَنِي
بِدُمُوعِ الدَّمُوعِ..

إِذْنًا، هَكَذَا
أَسْتَرِدُّ يَدَيَّ قَلِيلًا
فَأَجْرَعُ كَأْسًا عَلَى عَجَلٍ
لَا سَبِيلَ إِلَى السُّكْرِ
فِي زَمَنِ جَا حَظِّ الْقَلْبِ

أنشوطتي يقظتي
يقظتي علّتي
(يا حبيبة قلبي وروحي
تعبتُ

استردّي يديّ قليلا
وقلبي قليلا
وروحي قليلا..)

إذن هكذا،
سَرَّجَ اللهُ كُلَّ الملائكة
استرجَعَ الأنبياءُ تعاليمهم
إذن،

شهداءُ القصائدِ
لا يرحون أقاليمهم
إذن،

جُثَّتِي أجملُ الأغنياتِ!
وما بين موتي وموتي
بلادُ بلا آخرٍ

أبد شاسع
إذن،
رائع قدرتي رائع!

تناديك ناري
ونوري ندائي
أناديك مختنقاً بالبكاء
أناديك من حمأ الكافرين
وفي ظمأ الاتقياء
كبيراً على الذل
حيّاً وميتاً
ذليلاً على الكبرياء
خذي بيدي
فقيراً
ضرباً
أجوس رحاب هجيرك
قودي خطاي
وحيداً

بعيداً
أهيمُ على زمهريركُ
شدي وثاقي
إلى أبد الدهرِ
أو فاعتقيني
إلى أبد الدهرِ
خاصرتي أثختها البروق
فمي (جرسُ الله والخلق)
تشرخه الصلوات المملَّةُ
بين هشيم الغروبِ
وبين سديم الشروقِ
صحراءُ!
بُحَّتْ ذراعُ الضُّراعه
وما من «غفارٍ»
وما من «قُضاعه»
صحراءُ

هل تمنحين الصدى صخرةً؟
وهل توصدين المدى مرةً؟

وَهَلْ تُنْعِمِينَ عَلَيَّ

بِقَرْنِ غَزَالٍ

أَلْفٌ عَلَيْهِ وَشَاخَ الْيَقِينِ

وَأُطْلِقُهُ صَرْخَةً فِي الْخِيَالِ

تَجُوبُ الْبُؤَادِي تَلُو الْبُؤَادِي

وَتَطْوِي السَّهُولَ

وَتَلْوِي الْجِبَالَ

أَلَا اعْتَقِينِي

وَلَا تَقْتَلِينِي

هَدُوءًا..

أُنَادِيكَ

مَحْتَرِقًا كُنْدَائِي

أُنَادِيكَ

مَخْتَنِقًا بِالْبُكَاءِ

هَنَا مَفْرَقُ الْعُقْمِ وَالنَّسْلِ

نَحْنُ ظَهَرْنَا هَنَا وَاخْتَفَيْنَا

أَتَيْتُ مَنْدَى بَدْمَعِ الْأُمُومَةِ

منشطراً

بين ليل الرضا ونهار الكوارث
أنتِ اكتفيتِ بما ينطفُ الجرحُ
سراً أتيتِ

مجللةً بصدى الياسمين
وشيءٌ من الغسقِ القرمزي
يوشحُ عينيكِ
شيءٌ يبارك حزن المراثي،
وشيءٌ يبارك موتي علانيةً
ويبارك سرَّ انبعاثي..

لكِ المجدُ
نارَ الأيامِ
لكِ المجدُ
حزنَ اليتامى
لكِ المجدُ
عزفَ ارتطام النيازك بالأرضِ
سخطَ البراكين

عارِ الهزائم
لكِ المجدُ
خزي الأسير
وغارِ المقاومِ
ويا زهرة الحب والموتِ
يا امرأة الدم والدمعِ
يا هرةً
في ليالي التشرّد والبردِ
داهمها الجوع
وافترستُ حزن أولادها
بكيّتُ لجوعي وجوعك
أية عاصمةٍ سمعت صيحتي
وهي تغفي على فخذ قوادِها؟
وأية حاضرةٍ
حفلت بأذان المذابح؟
أي المعابد يعمره مؤمنان؟
وأي المواقع يحرسه فارسان؟
ومنذا يشيع قلب المغني المقاتل

غير الدخان

الدخان

الدخان؟

لماذا استغثت؟

أجيبني.. لماذا استغثت؟

لماذا؟

ونحنُ سكارى

نقطُّ دخاناً

ونصحو غباراً!

هتفتُ من الأسرِ

يا امرأة السبيِ

دلّت عليّ

حنوط الحجارةِ والظميِ والشر الفجّ

كفّاي في الأوجِ

رجلاي في القيدِ

مارستُ في ظلّ أنشطتي

كُلُّ طَقْسٍ مُتَّاحٍ
وَبَارَكْتَ بِالزَّيْتِ وَالطَّيِّبِ
كُلُّ السَّجُونِ
وَكُلُّ الْأَغَانِي
وَكُلُّ الْجَرَاحِ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ صَافَحَتْهَا يَدِي
فَخَانَتْ يَدِي
وَكَمْ مَوْعِدٍ
سَرَقَ النَّارَ وَالنُّورَ
مِنْ مَوْعِدِي!
أَحْبِكَ
عَقْلًا وَقَلْبًا
أَحْبِكَ
مَحَلًّا وَخَصْبًا
أَحْبِكَ
رَمْلًا وَطَلْحًا وَعَشْبًا
أَحْبِكَ
لَكِنْ هَدَوَاءً

هدوءاً

دمي في الشوارع
يَصْهَلُ عبر «التلّكس» الصحافيّ
موتي المئابُرُ
تنهش لحمي المئابُرُ
تجهل قبري المقابرُ
هذا دمي في الشوارع
يشهرني رايةً للزوابع
هذا دمي يستغيث
أحبك
لكن هدوءاً
هدوءاً..

علم ، طرقات المنافي
أغانٍ تموت بلا منشدين
وصدري
زنزانة تتناسلُ
بين الخيام وبين السجون

ولا سُورَةُ الْكَأْسِ

لا سَوْرَةَ الْفَأْسِ

لا دَعْوَةَ الْوَالِدَيْنِ

ولا أَنْتِ لِي..

(أَنْتِ لِي)

وسامٌ على ياقةِ الفاجعه

تَقْمُصْنِي عريكِ الْمُسْتَبَاحِ

على القارعه

وياما تناسخَ وجهي ووجهك

خلفَ هشيمِ الألوهةِ

في زمنِ المحلِّ والمعصياتِ

ومن خلفِ ظهري

ياما تلمّظك الخطباءُ

وها أَنْتِ لِي

وياما تجشّأكِ الشعراءُ

وها أَنْتِ لِي

وياما تشظّيتِ

بينِ الحناجرِ والصوتِ

ها أنتِ

جوعاً تموتين..

(شكراً)

سيشبعُ من خبزِ مَأْتَمِكِ المقرئون

وتُكسى بأَكْفَانِكِ النادبات..)

أُصَلِّي وأُكْفِرُ بِأَسْمِكَ

وأُنْذِرُ جَسْمِي لجَسْمِكَ

فلا تطردينني إلى البحرِ

حسبي كَفَّارَةٌ

ما أَعَانِي على برٍّ سَخَطَكَ

عاريةً بين نارين

ملدوغةً بين جُحرين

حافيةً فوق جمر الأَكَاذِيبِ

أَعْرِفُ حَزَنَكَ

مَهْجُورَةٌ في ظلالِ المَلايِينِ

مَبْهُورَةٌ بِالطَّنِينِ

مَمْرُقَةٌ بِالشِّفَاهِ السَّكَاكِينِ

ألمس حقد المساكين
يا أمّ طفلي وأمي
أصلي وأكفر بأسمك
وأملأ جسمي بجسمك
وإن كان لا بدّ من طعنةٍ
فاذكري لحم خالصتي الناحله
مساءً أأقيلك
ما بين زيتونة الذكريات
وتفاحة الشهوة الآفله
مساءً
أجيبك
عريان
إلا من العبق الارتجالي
أتيك
مغتسلًا بحليب الأمومة
فانتظري لحم خالصتي الناحله
وإن كان لا بدّ من طعنةٍ
فلتكن طعنةً قاتله!

أُجَاهِرُ رُوحَكَ
أَيْتَهَا التَّمَرَةُ المَعْضَلَه
أُجَاهِرُ آيَاتَكَ المَهْمَلَه
تَبَعْتُ الرُّسُولَ وَمَنْ أَرْسَلَه
أَطَعْتُ أُولِيَ الأَمْرِ

فِي الخَيْرِ
وَالشَّرِّ

فِي البَرْدِ
وَالْحَرِّ

قَالُوا: تُبَايِعُ شَوْكَتَنَا سَنِبِلَه
وَقُلْتُ: أَبَايِعُ شَوْكَتَكُمْ سَنِبِلَه
وَقُلْتُ: سَمَائِي بِسَاطِيرِ حُرَّاسِكُمْ
يَا أُولِيَ الأَمْرِ
فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ

قُلْتُ: يَصِيرُ إِلَهِي الإِذَاعَةُ وَالْقَنْبِلَه
تَبَعْتُ وَبَعْتُ
عَبَدْتُ وَبَدْتُ
أَسْرْتُ وَسَرْتُ

بعدتُ وعدتُ
ومتُّ ومتُّ
وعدتُ بُعثتُ
هدوءاً
هدوءاً
سيكتمل البدرُ عما قريبٍ
سيدنو
رهيباً بطيئاً
سأصرخُ رعباً
وأمسحُ دُنياً
هدوءاً..

قليلٌ من الملحِ والخبزِ يكفي
لأسمعَ للدمعِ
كي يتفجّرَ من بثره الارتوازيّةِ
الملحُ والخبزُ
داءُ اليتامى
وحزنُ الندامى..

ويا لوعة الحب
يا جذوة القلب
ملحي رمادي
وخبزي

تغريتي في بلادي!

أتذكر عصفورة الفجر
أغنية السندان؟
أذكر بعض الرعاة القدامى
طراوة نعناع النبع
في أول الليل
هل ظل بين الخلائق
من يذكر الولد الأرجواني
تحت القناطر
والبنت

في ثوبها الليلكي
اسمعوني جميعاً
جميعاً

أنا أعلن الآن تكفيركم
في شرائع أحفادكم كلها
ولا شأن لي عند أسلافكم كلهم
لماذا أكون فريسةً أكلوبةً
دحرجتها على ثلج موتي الأساطيرُ
تنكث عهدي الدساتيرُ
تهرسُ لحمي البساطيرُ
قولوا.. جميعاً.. لماذا؟

طحالبُ مرثية الزرعِ والضرعِ
تنمو على صخرة القلبِ
في الجوعِ والرعبِ
بعضُ المراسيم يكفي
لأسمعَ للدمعِ
كي يتفجّرَ كيف يشاءُ
ويكفي قليلٌ من الملحِ والخبزِ
كي لا تجفَّ الدماءُ.
ملوكُ عليكِ جواسيس صهيونَ

من عورة الشام
حتى جذام نواكشوط
ألملك ملكي
لكنهم باغتوا طفلة
لعبت وحدها في البراري
ودسوا بداديق زوجاتهم
لاغتيال الغلام المبكر
من قبلة الوالدين الى المدرسة.
الا لعنة الله واللات
ماذا أباري؟
وماذا أداري؟
غبار الخيانات غطى الشبابيك
طائرة من جميع الجهات
أغار عليها مرارا
وعادت اليها مرارا
وقرب سياج الحديقة
جثة سيدة
قصفتها الصواريخ

مرّت عليها التواريخُ
لم يعرفوها
وكم عرفوها
وكم قصفوها
ليعطوا القبورَ الجماعيةَ
اليومَ
معنى الأمومة
وحتى تدين الحكومة منهم
حكومة!
فشكراً.. وشكراً
وجواً.. وبحراً
وخيراً.. وشرّاً
وشكراً جزيلاً
على تعب التعزية
على أسفٍ لم يعيشه المغني
وعاش طويلاً مع الأغنية
وشكراً جزيلاً
نذرنا كثيراً

لنجزى قليلا
وجئنا رعيلاً رعيلاً
لنلثم أردان أثوابهم
وعدنا
قتيلاً.. قتيلاً
نزلزل ما أضمرنا خلف أبوابهم
ونكتسح المستحيلاً
إلى جنة التبر والكحل
شقاء لوحها الحر
سمراء
تختصر الضوء والفيء
صحراء
فاحت حليلاً
وباحت نخيلاً..

لأطفالك الضحكة الصافية
لأزواجك التمر والماء والعافية
لغزلانك الكلا المشتهى

لكِ البدءُ والمنتهى
ولي منك ما يحلم الحالمون
وما تخلق الرغبة العاتية
ولي منك عنتُ المنافى
وسخطُ السوافى
وعسفُ السجون
ولي كل أيامك الآتية
ولي أنتِ صحراءُ
جسماً وروحاً
وأفقاً عميقاً
ترسم أفقاً فسيحاً..

مباركة أنتِ
يا أول الحبِّ
صحراءُ
يا آخر الموتِ
صحراءُ
من قايض الماء بالنار؟

من جرّد السرّ من قُدسِه؟
ومن جرّد القدس من سرّها؟
مباركة أنتِ
ردّي لكأسي فمي
وخلي دمي
يعتق مآسيه في خمرها!

دخانُ
على شرفاتِ السماءِ القريبه
لعلّ إلها يرى
لعلّ ملائكةً شاهدتْ ما جرى
سماءُ!

أما من عجيبه؟
شعوبٌ تنامُ
طوابيرَ أسرى وقتلى
وتصحو

جماهير قتلى وأسرى
هنا يقذفُ «العالم الحرُّ»

كيس النفايات
هذا ملاك الجريمة
آتٍ على متن «حاملة الطائرات»
احفري خندقاً للضحايا
وقومي نلّم الشظايا
لنصنع منها
تماثيل حرية المافيا والبنوك
وقومي أصرخي
لعلّ صراخ اغتصاب الصبايا
يهزُّ رخام الملوك
ويوقف هذا المزاد المهين
ويغلق سوق النخاسة
لعلّ صراخ اغتصاب الصبايا
يهزُّ ثريات قصر الرئاسة
ويشرحُ عاج التكايا..
دخان؟
أم الآل في مُطلق البيد
ما من توابيت

ما من شموعٍ
وما من دموعٍ
وما من جنازه
تموتين كيف تشائين أنتِ
وتحيين كيف تشائين أنتِ
وأقطعُ وحدي المفازه
هدوءاً.

لأنك صاعقةٌ حاصروك
أرادوك مائةً للصواعقُ
وكم ذبحوا نخوةً من بنيك
وأشداقهم تنتخي وتدردبُ:
«نحن أخوك ونحن أبوك
وأُمك نحنُ

ونحن بنوك»

وباسمك،
كم أعدموا في ميادينهم
صَبَوَات البيارق..

ألا استنفري
وانفري
واظهري
سنابل ملء مروج الحرائق
وضجّي
وشجّي رخام الردى
وكوني صفاراً
وكوني حدائق
وكوني شهيدا
تناسلَ ورداً وخبزاً وعيدا
وبيتاً جديدا
وكوني فؤوساً
وكوني مطارق
وكوني جنوداً
وكوني خنادق
وأعطي المغارب
ضوء المشارق!

خذي بيدي وانهضي
لا يزال الطريق طويلاً
ومن سارَ هذا الطريق الطويلَ
يموتُ طويلاً
وقبل النهاية لا يستريحُ
خذي بيدي وانهضي من عذابك
على التلِّ ديكٌ يصيحُ
وفي السفحِ
ينخو القتلُ القتيلاً
وقلبي الجريحُ
أضمدهُ بنقابك
وأحفرُ لي خندقاً في رحابك.

تراكم حولي الردى
وسدَّ المدى
وظلَّ مداكِ الفسيحِ
وديكٌ يصيحُ
على التلِّ

ظَلَّتْ سماءُ وأَرْضُ وريحُ
وَدَيْكَ يصيحُ..

بأيةِ فتوى

يعيرُ الرعاةُ

نواقيس قطعانهم

للذئاب؟

بأيةِ فتوى

يصيرُ الرصاصُ أصابعُ

تدوّن تاريخها في الشوارعُ

وتمحو جنازير دبابَةٍ

وردةً

رسمتها الطفولةُ

في دفترٍ من تراب؟

بأيةِ فتوى

يكونُ الحضورُ الغياب؟

لكِ الألقُ الأولي المقدسُ

تقرأ الفاتحة

ويحلمك الحلم

صحراء

غامضة.. واضحة..

وأعلم أن القياصرة انتظروك طويلاً

وأن الأكاسرة استدرجوك طويلاً

ولم تمنحي مجدهم ناظرِك

وأعلم أن السلاطين حجّوا اليك

وماتوا عليك

وأعلم أن عصوراً من العاشقين

انتهت عند حناي قلبي على راحتك.

تنازعك الحلم بالحلم

صحراء

خضراء؟

بيضاء؟

سوداء؟

حمراء؟

يغبطك اللونُ

زيتونة في المُحال
وأنشودةً شرقت بدم البرتقال.

يقولُ السرابُ: اتبعوني!

يقولُ الكتيبُ: اذكروني!

تقول السوافي:

أنا والنخيل

جنونُ القوافي

وأهزوجة المستحيل!

أقول:

أحبك!

صحراء

ردي خماسين أمسي

أموتُ من البردِ

في ليلِ قدسي

أموتُ من الوجدِ

قولي،

أما حانَ ميعادُ عرسي؟

هو البدرُ

يُنشِبُ شهوته البكرَ في اللحمِ
(تهوي القذائفُ)

يهوي من الغيمِ
صلياً رهيف الغريزةِ
يغتصبُ الارضَ

(تهوي القذائفُ)
يخفشُ في الدمِّ

لا تردعيه

ولا تطرديه

هو البدرُ

طفلٌ بلا أبوينِ

جميلٌ وقاسٍ وحرُّ

ولونٌ أخيرٌ بجفني قتيلٍ يمرُّ

هو البدرُ

في ضوءه النرجسيُّ

أرى أعيناً من جميع الشعوبِ

تحدِّقُ صوبي

وتدمعُ حزناً
على جرحِ روحي وقلبي
أرى أذرعاً في الضبابِ
تحاول جذبي
إلى مضجعٍ يرتجيني
ولا أرتضيه
وأسمع حولي عواء الذئابِ
وأسمع مرثيتي النائبة
تنوحُ بها طفلةٌ عند بئرٍ
وتصدى على شرفةٍ قانية.
هو البدرُ
شكراً، أكفُّ الصحابِ
وشكراً، مراثي الصبايا
وعفواً دموع الشبابِ
هو البدرُ
يمنحني منزلاً دون بابٍ
وكل قدومٍ رحيلُ
وكلُّ رحيلٍ إيابٌ..

ألا ليت عيني جحران

لا ما أراه

ولا من يراني

ألا ليت لي «ربذة» في ضياعي

ويا ليت لي «ربذة» من هواني

ألا ليت لا ليت لا ليت

غنيت

صليت

من كنت؟

من أنت؟

يا شهوة الصل للقيظ

يا لهفة النصل للغيط

خذ جلد طفل ذبيح

ودون عليه كتاب الفجيعة والعنفوان

ويا ليت عيني جحران

لا ما أراه

ولا من يراني..

غزالٌ، تُجفِّلهُ صَلِيَّةُ أخطائه
وكم مرةٍ مَزَّقَتْ قلبه طَلْقَةً
يا غزالي الكحيلِ النحيلِ، سلاماً
سلاماً، من المدنفِ الخائفِ
على قلبك الواجفِ.

غزالٌ على رامةٍ
أيُّ صمتٍ مخيفٍ
عجايًا من الملحِ والطلحِ
أينَ فنونُ الصباياتِ؟
أينَ جنونُ الرباباتِ؟
أينَ المهابيجُ؟
رملٌ يموجُ
سوافٍ تهيجُ
وأينَ الخيولُ؟
الطلولُ؟
الهوادجُ؟
أينَ الفيالقُ؟

أين البيارق؟
(عُربٌ ورومٌ وفرسٌ)
وأين اللواعج؟
ليلى وقيس؟
وأين القوافلُ
أين القبائلُ
بكرٌ، تميمٌ وعبسٌ؟
وأين سحيمٌ وأوسٌ؟
وهندٌ ودعدٌ .
وأين الحجازُ ونجدُ؟
غزالي على رامتني
أين وجهي؟!

هبيني المدى المستحيلا
وأصغي قليلا..
تقاسيمُ شبّابةٍ في فضاء المواجهِ
ليلى تسوقُ الخرافَ
إلى واحةِ الروحِ

(يا قيسُ خذني
 من القحطِ والنفطِ خذني
 الى مطرحِ أهلِ بالافاعي
 ويا قيسُ خذني الى سُرَّتِي
 إن رَحْمِي تَنُّ
 ولحْمِي يَطْنُ
 وروحي يَضِيعُ وراءِ الضياعِ ..)
 وتجهشُ في شَبَقِ الرملِ كَفُّ
 وينبضُ دَفُّ
 وتبكي الرباباتُ
 (يا أهلِ قيسٍ وليلى
 تَجِيئونَ رَملاً
 وتمضونَ رَملاً ..)
 ويتعبُ روحُ المغنِّي،
 ويغفو..

«أَمِنْ آلِ نَعْمٍ؟»
 سعاةُ البريدِ يمرونَ في كلِّ صبحٍ

وما من خبر
ومن كل جرح
ينز الضجر
ولا «نعم» في البید
لا غید في الغید
یا لیت قلبي اعتذر
ویا لیت قلبي عذر
ویا لیت..
صحراء!
یا لیت موتي رسولي
ویا لیت بعثي الخبر
يعود، على الأين، منك إليك
وأقسم صحراء
أقسم بالعرب البائدة
رمادي جناحي
وناري عنقاؤك العائده!

توسمت في مطر الليل خيراً

ومنيّت مغتربيّ القدامى

بعشبٍ جديدٍ

يُطلُّ مع الفجرِ

منيّت نفسي

بأن يُصبح الحلمُ شيئاً متاحاً

ولا بأسَ صحراءٍ

لا بأسَ أني حملتُ الرضا باقةً

(إن ورد التفاؤلُ معضلةً،

لا أكابرُ!)

وزرتُ السجونَ

وزرتُ المقابرَ

بباقةِ حلمٍ

ولا بأسَ صحراءٍ

أن أصبحَ الحلمُ

شيئاً متاحاً..

وأقسمُ بالعربِ البائدهِ

جناحي رمادي

وناري

عنقاؤك الخالده!

هدوءاً

سيكتمل البدرُ عما قريبٍ

وعما قريبٍ

تحومُ طيورُ المساءِ على ذُلِّ أعشاشها

إن جحر الأفاعي مخيفٌ

وجحر الأفاعي قريبٌ

وعما قريبٍ

يحطُّ المساءُ على أسطح الزنكِ

ياوي المخيمُ

تعبانَ جوعانَ

ياوي إلى خندقٍ

حفرته القذائف في الشارع العامُ

رائحةُ الموتِ ضوءُ الليالي

وكابوسُ عزِّ النهارِ

يموتُ اليتامى

على جثث الأهلِ

يا زمنَ الوصلِ
في أرضِ كنعانَ
يمضي المخيمُ تعبانَ جوعانَ
يمضي المخيمُ صوبَ المخيمِ
ويمضي المخيمُ صوبَ المخيمِ
والله أعلم..

مَنْ القادمون على الأفقِ
في هدأةِ الشرقِ؟
أيتها الجلبةُ المعدنيَّةُ
مضاربُ أهلي نامت على حزنها
حزنها واحدةٌ
تستريح لديها القوافلُ
تشربُ دمعاً قراحاً
وتشكرُ نارَ الكرامِ
وتمضي
إلى كلِّ أفقٍ
وفي كلِّ أرضٍ

ويا أيها القادمون على كنفِ النسرِ

هل يفتدى العُسرُ في الأسرِ

بالعُسرِ في الأسرِ

مالت أمام زفيركم المرُّ نخلتنا

نخلةُ الربِّ

مئذنةُ الحبِّ

يا أيها القادمون

سلاماً

سلاماً

أما من سلام؟

ألم يبقَ في روحكم غير نسر الجريمه

ولعنة أسلافكم في العصور القديمه

تصلي لرب الجنود

وتقصُفُ برج الحمام؟

وجوه،

صفائحُ قلبها الريح

أرصفةُ

لَقْنَتَهَا الْقَذَائِفُ دَرْساً

مَدَارِسُ

مَنْهَاجُهَا الْمَوْتُ

لَا وَقْتَ يَا وَقْتُ

هَلْ يَهْدَأُ الْقَنْصُ وَالْقَصْفُ

هَلْ يَنْضِجُ الْخَوْفُ

هَلْ تَبْدَأُ الْحَصَّةُ الْقَادِمَةُ

وَهَلْ تُمَطِّرُ الْغَيْمَةُ الْقَاتِمَةُ؟

عَلَى وَقْعِ مَطْرِقَةٍ

يَنْبُضُ الْقَلْبُ

مَطْرِقَةٌ بَيْنَ صَدْغِي

آتِيكَ مُسْتَسْلِماً بَيْنَ حَيْنٍ وَحَيْنٍ

أَزُورُ صَغَارِكَ فِي قَبْرِهِمْ

وَأُؤْمِنُ بِاللَّهِ،

حُزْناً عَلَيْهِمْ

وَأُكْفِرُ بِاللَّهِ،

خَوْفاً عَلَيْهِمْ

وأسأل أسلافي الملحدين

وأحفاد أبنائي المؤمنين

أهذا كتابُ العدالة؟

كرتُ الإعاشة؟

زيتُ؟

قميصُ!

طحينُ!

أهذا كتابُ العدالة

وهذا ختامُ الرسالة؟

يدُ تستريحُ على صخرةٍ

في خواء الضمائر

صحراءُ

هذي يدي

هل ترين دمي جارياً في العروقِ؟

وهل تسمعين رعود انفجاري المدمر

هل تبصرين هياكل قتلاي

واقفةً في اندلاع البروق!

وهل تسمعين صراخي
أحبك!

لا بأس إن أنتِ كبرتِ
حوصرتِ

حاصرتِ
لا بأس إن أنتِ قامرتِ

أدركُ أن العواصمَ
مائدةٌ للقمار
وأدركُ

أن الغرام القديم
بنفسجةٍ من غبار
وأدركُ

أن الغرام القديم
يكابدُ محنته في الحصار
وأعلمُ

أن التتار الغزاةُ
وأومن أن الضحايا التتار
وأومن أني أغيبُ لأحضرُ

وَأَنْسَى لِأَذْكُرْ
وَأَوْمِنُ أَنِّي أَمُوتُ لِأُبْعَثَ
صَحْرَاءُ

آتِيكَ بِاسْمِي
وَأُشْهِرُ فَيْكَ
تَعَالِيمُ رُوحِي وَجِسْمِي

فَلَا تُنْكِرْنِي
أُحِبُّكَ

لَكِنْ هَدِوْءًا
هَدِوْءًا

وَلَا تُقْتَلِينِي!

مَوَائِدُهُمْ أَثْقَلْتُ بِالْفَوَاكِهَ وَالْخَمْرِ
وَالسَّحَرِ
وَالْعُهْرِ

عَمَّا قَرِيبٍ تَفِيضُ كُؤُوسِ النَّمِيمِ
وَعَمَّا قَرِيبٍ تَرْنُ كُؤُوسِ الْهَزِيمِ
(كُؤُوسٌ مِنَ الْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ)

وعَمَّا قَرِيبٍ
يَجِيءُ بَأْنِيَةَ الْوَرْدِ نُذْلُ رِشَاقُ
وَتَلْتَفُ سَاقُ بِسَاقُ
لِمُؤْتِمِرَاتِ الْمُلُوكِ وَأَمْلَاكِهِمْ
مَنْطَقُ يَسْتَدِرُّ اللَّعَابُ
وَيَفْتَحُ بَاباً إِلَى الشُّكِّ
بَيْنَ الْكِتَابِ وَرَبِّ الْكِتَابِ
تَقُولِينَ أَنْتِ: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»
فَتَهْتَفُ عَاصِمَةٌ تَلُو أُخْرَى
«سَلُومٌ عَلَايْخُ!»
وَكُلُّ الْعَوَاصِمِ نُذْلُ رِشَاقُ!

وعَمَّا قَرِيبٍ
يَجِيئُونَ بِالنَّعْشِ
تَنْهَمُرُ الْكَامِيرَاتُ عَلَى مَوْتِكَ الْبُضُّ
سَجَّتُهُ
أَيْدِي ذَوِيكَ الْغَطَارِيفِ
يَهْرَعُ جَنْدُ الْكَلَامِ

الخصام

الوثام

القتال

السلام

النضال

الجدال

الصليب

الهلال

السُّمُو

الجلال

السجون

الحيال

السيوف

الدفوف

اليهود

العرب

وما هبَّ هبَّ

وما دبَّ دبَّ

وَيَمْضُونَ بِالنَّعْشِ

فَلَسًا بِفَلَسٍ

وَقَرَشًا بِقَرَشٍ

وَأَبْكِي وَأَبْكِي

وَيَكْتَمُلُ الْبَدْرُ

يَدْنُو رَهِيْبًا بِطِيْنًا

وَأَصْرُخُ رُعْبًا

وَأُمْسِخُ ذَنْبًا

هَدَوَاءً..

يَهِيْمُ عَلَى وَجْهِهِ الْوَرْدُ

بَيْنَ الزَّفَافِ

وَبَيْنَ الْجَنَازَةِ

وَأَنْتِ حَدِيقَةُ عَمْرِي

وَلَا وَرْدَ عِنْدِكَ

يَخْتَلِطُ الْأَمْرُ فِي الْجَوْعِ

بَيْنَ الْقَرْنَفْلِ وَالْخَبِزِ

خَيْطُ ضَيْلٍ مِنَ الضَّوءِ

بين دموع التشرد والخمر

خيط ضئيل من الظل

بين التشرد والجوع

نشعل أحزاننا نخلتين

وتنصدع الأرض من حولنا

جثتين

ولا «كيف» «منذا» «لماذا» و «أين»..

دعي قمر الشهوة البدوي

وحيداً طليقاً

دعي خيله البيض

جامحة في الرمال السحيقة

خلي أغانيه

لاذعة بالخماسين

لا تلمسي وتر الصمت

صحراء

يا أجمل الإنس والجن

هذا أوان الوحام

وهذا زمان انفلات الزمام

أناشدك الشمس

والقدس

صحراء

جسمي خلية نحل

دعیه يُعسلُ عذاباً بجسمك

أتيتك باسمي

أتأتين باسمك؟

هلال دمي حلية بين عينيك

وشم ذراعك

سري المعتق في قبو حطين

باعوك

باعوك

باعوا فلسطين

قايضت دمع الجوى والجواري

بصلية نار

ويحت بسر النهار

سلاماً لعينيكِ
طوبى لكفِّيكِ
من كفني
تنشران على خندقي رايةً
وفي بحر تغريبتني
تنشران الشراعا
وطوبى لكفِّي
من عظم قتلاي
أخلق لي زورقاً
فيه زوجٌ - كما شئتِ - من كل جنسٍ
ونصعد مدَّ الدماء
ونصعدُ
حتى يعود الغرابُ
بقصفةٍ زيتونةٍ من بلادي
سلاماً لحبكِ
حُبُّك زاد المعادِ

فمُ فاغرُ

قال شيئاً أخيراً
تذكر شخصاً أثيراً
وأودع أسرارهُ في الترابِ
يدٌ تحت أنقاض ما شيدتهُ
وعينٌ تعاتبُ آخرَ ما شاهدتهُ
أشهدي جسدي
قطعةً.. قطعةً..
في مهبِّ السواقي
على قشرة الأرض
(عفو البراكين)
صاولةٌ
جاولتُ
أبليتُ خير البلاءِ
وأبليتُ شرَّ البلاءِ
وليس سوى كربلاءِ
تنازعُ بي كربلاءُ..
دمي لا يجفُّ

أشربي
ثورتني لا تكفُّ

أضربي
أنذا فارس الحبِّ والموتِ

صحراءُ
أعطي النخيلِ مداهُ السماويَّ
حسبُ الجذورِ
مدىً في قرايين يومِ النشورِ.

ملائكةُ

يشربون على شرفة الله قهوتهم
طائراتٌ تُغيرُ

على «ميتم العودة»

استبشري
بما يُضمِرُ الغيبُ

لا تؤمني

ولا تكفري.

ملائكةُ يشربون

زبانيةٌ يشربون
قروناً وراءَ قرونٍ وراءَ قرون
ولا ترتوين
ولا يرتوون.
دمي لا يجفُّ.. اشربوا
ثورتني لا تكفُّ.. اضربوا
قلائدُ رُمانةٍ (سيكون اسمها المجزرة)
معلّقةٌ بعروقٍ شهيدٍ
على القنطرة
وبنتٌ تغني
لبئرٍ تجفُّ
وتحلمُ بالرايةِ الممطرة
وفي البئرِ
جثةٌ طفلٍ ينادي
وما من لغاتٍ
وما من بلادٍ
ألا ليتَ زنديٍّ حبلانٍ
يا ليتَ عينيَّ جحرانٍ

لا ما أراه
ولا من يراني..
ويا بنتُ غني
على بئر حزني
أحبك
غني
وغني
وغني..

متى يرجعون؟
على البر، لا بأس
في البحر، لا بأس
أبليت مقاعدهم في دواوين يافا
ملوحة بحر المناديل والدمع
والأغنيات القديمة
أبليت ملامحهم
شفرةُ الحزن والريح
هل يرجعون؟

متى يرجعون؟
كهولاً على الوجدِ
صُفراً عُراً
رماداً من الرعب
والجوعِ والعارِ
لا بأسَ
عشبُ السطوح انتهى
والسطوحُ انتهتْ
أزلُ من ضجيجِ
يراوحُ في أبدٍ من سكونِ
وتخفي حجارة طاحونة الماء
أسرارها
كلما زارها
سائحٌ، حدجتهُ احتقارا
وأنتِ دواليبها المرهقه:
متى يرجعون من المحرقه
متى يرجعون
الى حضن زيتونة الذكريات

ألا نورَ في كل هذي الشرايين
يختصرُ العتمةَ المطبقة؟

تلاشى دخان المعارك فجراً
وما من أذانٍ مع الفجرِ
يا أيها الميِّتُونَ
أنهضوا صُدفَةً للصلاة
مؤذّنكم ماتَ نُسكاً وقنصاً
مع الفجرِ شاهدتُ جُثَّتَهُ
عند باب المخيمِ
طرحتُ السلامَ على ما تناثر من جسمه
قام، صلى، وسلّم
وسدّدَ عينيه للمئذنه
وعادَ وأغفى
على دمه المتخثرُ باللعة المزمّنه
وعادَ وأغفى
دعوه يؤذّن بصمتٍ
لعكا وحيفا

هدوءاً.. هدوءاً..

وشاحٌ من الأرجوان
يرفرفُ في نسمةِ البحرِ
يا أيها البحرُ
خفناكَ دوماً
وجُبنا أعاليكَ يوماً فيوماً
وخفناكَ دوماً
يوأقيتُكَ السودُ
يا أيها البحرُ
عقدُ على صدرِ هاجرٍ
ويا أيها البحرُ
ها نحن أيتام هاجرٍ
نناديك
رفقاً بأيتامنا
فكم من فتىٍ عربيٍّ
بكى يوم ماتت
على شطِّ يافا وعكا وبירות

جاريةُ الربِّ هاجرَ
وكم من فتىٍّ عربيٍّ
بكى يوم ماتتُ
وسافرَ
ألا أيها البحرُ
رفقاً بنا
ورفقاً بأحبّنا!

يدُ البحرِ ممدودٌ بالسلامِ
خذي يدهُ
واغفري كلَّ ما كان
صحراءُ

لا ترمقيني بعين الرضا
ولا تحدجيني بعين الخصامِ
تباطأ موكبُ تغريبتِي
بين بُرجٍ وبُرجٍ
وخادعني أمسٍ واليومُ
عرافك الوغدُ.

آتي غداً
بحليبِ النسورِ
ودمعِ اليمامِ
وأوقدُ ناري
وأطعمِ جاري
فلا تقتليني
ولا تهجريني
جريحاً غريبَ الديارِ.

شبابيكُك السبعةُ الموصدهُ
يزلزلها القصفُ
يفتحها العسفُ
هل أنتِ حالمةٌ بدوارِ عبيرك؟
سكرى برائحةِ الدم والنار؟
ميتةٌ في سريرك؟
يا وردةَ القلبِ
هل أنتِ جاريةُ الربِّ
يرزقها ولداً أزرقَ الوجنتين

ويطردها مرةً ثانية
ويُنصفُ قاتلها مرتين؟

أُطلي
أُطلي من الشرفه الداميه
وألقي الضفيرة
أصعد اليك

أشتهيتك موعودة واعدته
أُطلي

ولو مرةً واحده

أُطلي
ولو جثةً هامده

أُطلي!

سلامٌ عليك
سلامٌ على نارك الأبدية
ماذا تبقى لديك
سوى نخلة العنفوان
وخنجرك الذهبي

المخبأ في غابة السنديان؟

سلام عليك

على حجر غامض واضح

في طريق الغزاة

على وردة طالما قصفتها المدافع

وظلت تدافع

سلام على طفلة عند بئر

تردد باكية آخر الأغنيات

وتنشد ضاحكة أول الأغنيات

سلام عليك

على كل ومضة وجد

تزلزل قلب الوجود

سلام على نطفة الكائنات

وروح الحياة

سلام عليك..

سنابل ملح

حصاد حقول الندامة

منذا يَقبلُ القوافلَ

من ظمأً فادحٍ

السرابُ سرابٌ

(ألا شيءٌ غير السرابِ؟)

مُنَاخُ الحنينِ عذابٌ

(ألي كلُّ هذا العذابِ؟)

أنا العيسُ والبيدُ

مائي على الظَّهرِ

والنصلُ في النحرِ

صحراءُ

منذا مُقيلي

ومنذا يبُلُّ غليلي

ويسند ظهري

إلى رحمةٍ أن أن تُرتجى

في جذوعِ النخيلِ؟

سنابلُ ملحٍ

جناحُ من النارِ

يخفقُ في عتمةِ القلبِ

(لا تندمي!)

قمرٌ رائعٌ لا مُبالٍ

وأنتِ ببالي

زهور الرصاص ارتوت من دمي

وأنتِ ببالي

أدومُ وأسلمُ

لو مسّني لفحكِ المُشتهى في الخيالِ

فدومي إذن واسلمي

ندمتُ قليلاً على مصرعي

وها أنا أبعثُ حياً مُضيئاً

فلا تُعتمي

ولا تندمي..

على جبهتي هالةُ الشوكِ

آمنتُ في الشكِّ

وحَدْتُ

أشركتُ

قاومتُ

هاجمتُ

ليلايَ تسألُ عن قيسها

ولا قيسَ إلا دمي

سائلاً في ثرى قُديسها

وأنتِ بيالي

سنابلُ من نعمةٍ دائمة

تموجُ بها غيمةٌ قادمة..

هدوءاً

سيكتملُ البدرُ عما قريبِ

سيدنو رهيباً بطيئاً

سأصرخُ رعباً

وأمسحُ ذئباً

هدوءاً..

.....

شمالاً تهبُّ المدامع

شرقاً تموتُ الزوابع

غرباً تضيعُ الشواطئُ
في زبد الذكريات
ولي في الجنوب
مطارحٌ وجدٍ بعيدٍ قريبٌ
ولي في الجنوب
هوىً ليس يبلى
تُخبئه في مناديلها
بناتُ المكلا
ولي في الجنوب
صهيلُ خيولٍ
وصيحاتُ قتلى:
ألا أيها الموتُ
أهلاً وسهلاً
لأنك عمرٌ جديدٌ
وخبرٌ وشعرٌ ودفلى!

أذكُرني؟
نحنُ سرنا معاً من قرون

وكنْتُ أَغالبُ حزني

وكان يغني

ويسخرُ مني

لأنني

بكيتُ طويلاً على حسرة اللاجئين

وظلَّ يغني

وظلَّ رفيقي حزيناً حزيناً..

أذكُرني؟

نحن سرنا معاً

عقرنا على الدربِ ناقتنا البائسه

وهمنا غريقين

همنا معاً

ولم نبلغ اليابسه

وصلَّى رفيقي

صلاة الغريقِ

وما من مجيبٍ

وما من جوابٍ

سوى قهقهات إله الشراب!

وظلَّ يغني
على بئر حزني
وأنتِ الصدى في المدى
وأنتِ المدى في الصدى
وأنتِ البزوغُ
وأنتِ الغيابُ
وكلُّ قدومٍ إليكِ رحيلٌ
وكلُّ رحيلٍ إليكِ إيابٌ..

يميلُ النخيلُ قليلاً
وبعد قليلٍ ،
تنامُ على قبر من أيقظوها الرياح.
وقبل قليلٍ
يميلُ القتيلُ على سرِّه المستباح
رصاصةً قاتله استأنست بالخلايا الألفية
لم تعتذرُ
ولم تنتظرُ
فهل يكفي بابتسامته الساخره؟

قُبيل السقوط على عتبة الآخرة؟

وهل تكتفين بمرثية

نصفها للقتيل

ونصفٌ لدرب الحياة الطويل؟

أناديك صحراء

لا تخذليني

ولا تورثي الشكَّ بؤس اليقين!

أناديك

فليفتح السرُّ أبوابه السبعة

اكتملَ البدرُ

صحراء

وليُسبغ البرقُ والرعدُ نعمتهُ

اجتاحَت اللوعةُ اللوعةَ

اشتقتُ والله

واشتقتُ واللات

لا تخذليني

جنوني تباركهُ

حكمتي

فلا تنقضي حكمتي بالجنون
ولا تقتليني!

لأنك طيبة القلب
صارت يدي واحة للشعوب
لأنك نارٌ مذلّةٌ بالصقيع
اصطفيتك التوابلُ
وانهمرت في الجهات الطيوبُ
لأنك كاملةٌ
كشفَ النقصُ أوراقه واستراح
لأنك فصلُ الفصولِ
وأصلُ الأصولِ
أغاث الصباحُ المساءَ
وأحيا المساءُ الصباحَ
وشابهك البحرُ شيئاً فشيئاً
وشابهةً تكوينك الليلُ
والخيلُ
والسحرُ

والشُّعْرُ

صحراءُ!

في ذرَّةِ الرملِ حوَّاءُ أُخْرَى
وَأَدَمُ يورثُ أضْلَاعَهُ أَدَمًا

أَنْتِ ضِلْعِي

امْتَشَقْتُكَ مُعْجَزَةً

صَحْتُ: «كُونِي!» فَكُنْتُ

وَأَخِيْتُ لِحَمِي وَرَمَلِكِ

أُمُّ أَنْنِي مُحَضُّ «أَنْتِ»!

سَأَلْتُ!

اسْمَعِي وَأَجِيبِي

لِمَنْ قُوَّةُ الْحُلُمِ؟

وَالنَّارِ وَالْدَّمِ؟

صحراءُ

هَلْ أَنْتِ أَبْرَاجُ نَفْطٍ

تَقْيِضُ عَلَى ضِفَةِ الْبَرَبْرِيةِ؟

وَهَلْ أَنْتِ أَفْوَاجُ لَفْطٍ

تَطُوفُ بِكَعْبَةِ أَسْلَافِنَا الطَّالِحِينَ

وأسلافنا الصالحين
وترسف في لعنة الأشعبيّه؟
أحبك
أومن بالضاد
روحاً تآلق في الأجدية
ونزل آياته البيّنات
ليُبدع جنّاته الدنيويّه
أحبك، صحراء
هذا دمي يستعيد المواجه
ويغرزُ رايّاته في المواقع
تلو المواقع
وهذا أنا
نخلة تستردُّ اسمها
من لغات التهجن والرق
توقظُ صوتاً تكلس في غفوة الشرق
صحراء
قومي نحارب!

«رَأَيْتُ الْمَنَايَا...»

وَمَا كَانَ أَعَشَى سِوَايَا!

لِصَوَصٍ وَرَاءَ لِصَوَصٍ

يَجِئُونَ بِالْأَدْمَعَ السِّينِمَائِيَّةِ

اِخْتَصِرِي الْوَقْتَ

صَحْرَاءُ

هَذِي أَكَالِيلُ وَرْدِهِمِ الْاِصْطِنَاعِيَّ

فَوْقَ قُبُورِ بَنِيكَ

اِنظُرِي!

تِلْكَ أَفْعَى الْأَكَاذِيبِ

بَيْنَ الزُّهُورِ

اِنظُرِي!

هَلْ تَرِينَ الْعِقَارِبَ!

هَنَا عَرَبٌ

وَهَنَّاكَ الْيَهُودُ

هَنَا إِخْوَةٌ

وَهَنَّاكَ الْأَجَانِبُ؟

عقارب تلو العقارب
كفى خدراً بنبيذ الأغاني
وسم الأمانى
كفانا انتحاراً بسوء الطوالع
بين البروج وبين الكواكب
كفى.. وانهضى
اختلط المهد بالحد
صحراء
قومي نحارب!

«بلال» من الدم والنور
قام يؤذن في قمة الموت
من داهم الصوت بالصوت؟
من أشعل النار في سدره المنتهى
فزلزلت الأرض زلزالها؟
خذي بيدي الآن
صحراء
زملّتني أنت

آمنت بي
يوم مسَّت يدُ الله قلبي
بنار النبوءات
هدهدتنني
يوم صُكَّت عظامي بحُمى التواضل
صحراء

قومي نلّم أوائل من آمنوا
فجرُ هجرتنا لاهبُ
دربُ عودتنا لاجِبُ
بدرُنا طالعُ لا محالة
أنصارنا في المدينة كُثُرُ
وكُثُرُ وكُثُرُ

وهذي رسالتنا:
الأولى آمنوا كفروا
والأولى كفروا خرجوا
والأولى خرجوا أخرجوا
والأولى أخرجوا أفرجوا
والأولى أفرجوا أنضجوا

والأولى أنضجوا
أكلوا تمرَ آلهة العُسرِ
صحراءُ

هذي رسالتنا الثانية
وهذا رسولٌ جديدٌ
يحطّمُ أصنامك العاتية
وهذا بلالٌ جديدٌ
يؤذن من قمة الهاوية..

وهذا كتابك
قومي نحارب..
وهذا كتابك

صحراءُ

صحراءُ

صحراءُ ا ا ا ا ا ا ا ا

المحتويات

٦٦	* رحلة السراييب الوحشية	٩	* ارم
٦٦	(١)	٩	تيسين
٦٧	(٢)	١١	نشيد الافتتاح
٦٨	(٣)	١٢	نشيد الدهور
٧٠	(٤)	١٧	نشيد الكهنة
٧٣	(٥)	٢٢	نشيد الانبياء
٧٥	(٦)	٢٨	نشيد "حرب"
٨٠	(٧)	٣١	نشيد الانسان الجديد
٨٢	* مراثي سميح القاسم	٤٤	نشيد الختام
٨٣	(ب)		* اسكندرون - في رحلة العمر ورحلة
٨٥	(ج)		الداخل يرحل بزوجته..
٨٨	(أ)	٤٧	ناحشاً عنها
٩٠	(د)	٤٨	(١)
٩٢	(ي)	٤٩	(٢)
١١١	* الهى الهى، لماذا قتلتني؟	٥٤	(٣)
١٦٦	* ثالث اكسيد الكربون	٥٥	(٤)
١٦٧	تعريف بثالث اكسيد الكربون	٥٨	(٥)
١٦٨	سيرة بريطافور	٦١	(٦)
١٨١	سيرة بنيون	٦٢	(٧)
١٩١	سيرة جليات		
٢٠٦	* الصحراء		

■ دار سعاد الصباح

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية
مسجلة بدولة الكويت
وجمهورية مصر العربية
وتهدف إلى نشر ما هو
جدير بالنشر من روائع
التراث العربي والثقافة
العربية المعاصرة والتجارب
الابداعية للشباب العربي
من المحيط إلى الخليج وكذا
ترجمة ونشر روائع الثقافات
الأخرى حتى تكون في
متناول أبناء الأمة فهذه
الدار هي حلقة وصل بين
التراث والمعاصرة وبين
كبار المبدعين وشبابهم
وهي نافذة للعرب على
العالم ونافذة للعالم على
الأمة العربية وتلتزم الدار
فيما تنشره بمعايير تضعها
هيئة مستقلة من كبار
المفكرين العرب في
مجالات الإبداع المختلفة .

هيئة المستشارين :

(مدير التحرير)

أ. إبراهيم فريح

د. جابر عصفور

أ. جمال الغيطاني

د. حسن الابراهيم

(المستشار الفني)

أ. حلمي التوني

د. خلدون النقيب

(العضو المنتدب)

د. سعد الدين إبراهيم

د. سمير سرحان

د. عدنان شهاب الدين

(المستشار القانوني)

د. محمد نور فرحات

أ. يوسف القعيد



